العدد الاول السنة الثامنة عشرة

الكلية العربية

مجلة تصدرها الكلية العربية اربع مرات في السنة

قيمة اشتراكها ٢٥٠ ملا

مطبعة بيت المقدس — القدس

العدد الاول السنة الثامنة عشرة



في ١٥ كانون الاول سنة ١٩٣٧ — الموافق ١٢ شوال الهجري سنة ١٣٥٧

الفروق القائمة بين انظمة التعليم الأوروبية والاميركية[1]

ان الولايات المتحدة تختلف في شؤونها التهذيبية عن البلدان الاوروبية ، شأنها في كثير من أمورها الاخرى . ولذا كان من المهم ان نبحث ما بينهما من فروق تهذيبية وغير تهذيبية مما له اثر بين على شؤون التعليم وبخاصة درس مشكلة الامتحانات .

واول فرق ظاهر بينهما قائم في التنظيم . فقد كان ولا يزال قسم كبير منه مزدوجاً في طبيعته — نظام ابتدائي للجماهير ، وهو وان كان يتناول اكثر من المدرسة الابتدائية الاصلية ، يتميز مع ذلك عن النظام الاخر ، وهو نظام التهذيب الثانوي والعالي . ولذا لم يكن منتدح عن حماية التهذيب الذي هو فوق المستوى الابتدائي باقامة حواجز تتكون من امتحانات الكفاية وامتحانات المباراة . وهي حماية في غاية القسوة — ولو لم يشعر بها — والقصد منها بعضه المحافظة على مقاييس الكفاية و بعضه تحديد عدد الذين يلتحقون في النهاية بالجامعات والمهن الحرة .

(١) نشر هذا البحث في تقرير معهد كرنجي سنة ١٩٣٦ في تقدم العلوم التربيوية .

ومن اجل ذلك كانت الامتحانات ترمي الى غاية مزدوجة . فهي تستعمل كاختبارات لما قام به الطلاب من تحصيل وكاساليب لانتقائهم ، وهذا الانتقاء يشتد امره كلما اقترب وقت قبول الطلاب في الجامعات .

وجلي على كل حال ان المعضلة تتخذ شكلا جديداً ، لان طريق التنظيم القديمة آخذة في الانهيار ، والفكرة المدرسية المشتركة آخذة في الانتشار . ولقد احتفظ بالمدرسة العلمية الثانوية ذات التقاليد في هذه الخطة الجديدة ، ولكن المدارس الاخرى التي تضم بين جدرانها تلامذة فوق الدور الابتدائي آخذة شيئاً فشيئاً في الانضواء تحت لواء الترتيب الثانوي العام والاندماج فيه . وفي هذه المدة القصيرة التي ادخلت فيها اصلاحات كهذه لم تنشأ اساليب مرضية لانتقاء التلامذة. فقد يكون وضع الحد الفاصل بين المدرسة الابتدائية و بين المدرسة الثانوية الاصلية قد تحسن ، وان كان هذا الامر لا يزال مشكوكا فيه . على ان زيادة عدد الطلاب نفسها لم ينجم عنها الا زيادة مشكلة الانتقاء والتوزيع . والذي يلوح ان الرأي العام لم يتوصل بعد الى طريقة مرضية لانتقاء الطلاب ، سواء اكان ذلك مبنياً على الامتحانات أم على آراء المعلمين واحكامهم و بواسطة هذين يكون في المقدور التكهن عن نجاح التلامذة في المستقبل في المدارس الثانوية ذات التقاليد في سن الانتقال الحاضرة . واذا نظرنا الى تنظيم السلم التهذيبية كانت احدى النقاط حتماً عند الدور الذي ينتهي فيه التعليم الابتدائي . والنقطة الاخرى هي عند دور قبول الطلاب في الجامعات .

ان نظام التهذيب في الولايات المتحدة مبني على النظام العمودي . اي ان كل دور من ادوار التعليم يوضع له حد يفصله عن الدور الذي يليه بحيث ينتقل

التلامذة عند اكمالهم التعليم الابتدائي انتقالا طبيعياً الى المدارس العالية ومن ثم الى الكلية تحت شروط معينة . او عند انتهائهم من المدرسة الابتدائية ينتقلون الى المدرسة العالية من الدرجة الثانية ، ومن ثم الى المدرسة العالية من الدرجة الاولى ، ومن هناك ينتقلون الى الكلية . وليس ثمة امتحانات دخول تحول دون الالتحاق بالمدرسة العالية ، واذا استثنينا فئة قليلة من الطلاب الفيناهم يجتازون من المدرسة العالية الى الكلية على موجب نظام الشهادات او تقديم اوراق رسمية ، على أن تتم بعض أمور مطلوبة في المدرسة العالية . وهنالك نزعة الى تخفيف شدةوصعوبة هذهالمقتضيات وبخاصةفي المؤسسات التي تقوم الحكومة بأودها . فقداتفقت منذ عهدقريب كثيرمن المؤسسات التي كانت تقبل لحدالآن الطلاب بناء على الشهادات التي نالها اربابها في الامتحانات المعقودة من قبل مجلس امتحان دخول الكليات أن تقبل طلاباً من ثلاثين مدرسة ثانوية منتقاة ، عمومية كانت او خصوصية . واخذت هذه على نفسها ان تجرب منهاجا مدرسياً ثانوياً مداه ثماني سنين .

اما الفرق الثاني البارز فموجود في منهاج المدرسة الثانوية . انه رغم التغييرات التي حدثت في منهاج الدراسة الثانوية الاوروبي منذ سنة ١٨٩٠ ولا سيما من جهة الاعتراف بمكانة اللغات الحديثة والعلوم . لا يزال معظم المنهاج يسوده اولا: الفكرة المتوارثة من جهة التهذيب الحر الذي يتشدد في امر درس اللغات القديمة والحديثة . ثانياً هذه الحقيقة وهي ان المدرسة الثانوية معترف بها كمدرسة اعدادية للتهذيب العالي . وهذا القول يصح حتى في انكلترا ، وان كان خمسة في المئة من التلامذة الذين يتمون دراساتهم الثانوية يلتحقون بالجامعات . وقد

نشأ تشويش عظيم بواسطةالتبادل العقلي للشهادة الثانوية الاولى وشهادة المترك . ومعنى هذا في الحقيقة في كل البلدان هو ان المدارس تنظم على مبدإ ان الطلاب يجب ان يتلاءموا والمنهاج لا أن يتلاءم المنهاج والطلاب . فاذا ما اخفق طالب في الامتحانات فذلك شأنه ،ان المقاييس قد حصل عليها على الاقل .

ان وجود تقاليد علمية شديدة في الولايات المتحدة يفسر طائفة كبرى من الفروق في الشوون التهذيبية العملي منها والنظري ، مما يلحظه المهذب الاوروبي . و بينا نرى ان التعليم في اوروبا مؤسس بعض الشيء على فهم تقليدي وشديد للثقافة والقيم الثقافية ، نجد أن الولايات المتحدة تقدم لذويها ثقافة غير متاصلة ، بالرغم من انتقادات رجال التهذيب الراقين وقولهم ان منهاج المدرسة العالية يسوده مواد مطلوبة لدخول الكلية . ان الثقافة الاميركية نجمت عن قوتين متضار بتين وهما التقاليد الحدودية والتقاليد الاوروبية والاول هو على الجملة الاقوى في معظم البلاد . ولقد كانت احدى نتائج هذه الحالة أن صار أولو الامر اكثر استعداداً لاقامة اختبارات من جهة المنهاج من جميع نواحيه ومستوياته ، ولتكييف مواده بالمطاليب الاجتماعية الجارية وبحاجات التلميذ الفرد أو الطالب وقواهما . وهكذا فقد كان ميل في الثلاثين سنة الاخيرة الى اكتشاف مساقات دراسية تتكيف بحاجات الفرد ومصالحه وقواه . وكانت المواد الوحيدة التي كتبت لها الحياة اللغة الانكليزية والدراسات الاجتماعية (التاريخ والسياسيات والاقتصاديات والحوادث الجارية) . ان المبدأ الاوروبي القائل :— « اكتشف ما يجب ان يعمله التلميذ واحمله على عمله » قد تحول في الولايات المتحدة الى مبدإ يقول :— « اكتشف ما يقدر ان يعمله التلميذ واسمح له بعمله» ومعنى هذا توسيع المنهاج توسيعاً لم يظن البتة انه

ممكن في المدارس الاوروبية ، ولـكن معناه ايضاً انه كان لا بد من تدبير طرق لاكتشاف الانواع المختلفة للقوى والمواهب . وقد بذلت جهود في سبيل انشاء مساقات دراسية يتمكن التلميذ بواسطتها من القيام باعمال تتلاءم وافضل مواهبه وقواه . (يتبع)

المتنبي بعد الف عام[1]

الحمد له حق حمده وصلواته على نبيه وبعد فانا نريد ان نتكلم في هذا المقام على ابي الطيب المتنبي ودرجته وماله وما عليه ومنزلته في اندية الشعر ومحاكم النقد ولـكن لا بد لنا اولا من مقدمة نتكلم فيها على الشعر والشعراء اجمالا حتى يتبين منها منزلته ودرجة شعره فنقول .

لما كان الشعر انقى كلام واحلى نظام فيه فنون الفصاحة وضروب البلاغة وبدائع الامثال والحكم وهو ديوان العرب فيه لغتها وامثالها وحروبها وايامها ووقائعها وآدابها واخلاقها وفيه الاستعانة على فهم كتاب الله وسنة رسوله اهتم به السلف من الصحابة رضوان الله تعالى عليهم . فقد روي ان عمر بن الخطاب رضي الله عنه امر الناس بتعليم ابنائهم الشعر والفروسية وان حبر الامة عبدالله بن عباس ترجمان التنزيل كان يقسم ايامه في دراسة العلم الى ثلاثة يوم للتفسير ويوم للحديث ويوم للشعر . وما اهتمام السلف بالشعر الا لـكونه ديوان العرب اشتمل على لغتها

---

(١) خطاب القاه صاحب السماحة الرحالة العلامة السيد خليل الخالدي في شعر المتنبي وبيان ما له وما عليه ومنزلته في اندية الشعر ومحاكم النقد في الاحتفال الالفي الذي اقيم بدمشق سنة ٣٥٥ هجرية .

وتاريخها وفيه الاخبار النابهة والاحساب الصحاح والحكم المضارعة لحكم الفلاسفة والعلوم في الخيل وفي النجوم والاهتداء بها وفي الرياح وانوأئها وما كان منها مبشراً او جايلا وفي البروق وما كان منها خلبا او صادقا وفي السحاب وما كان منها جهاما او ماطراً وعما يبعث البخيل منها على السماح والدنيء على السمو والجبان على اللقاء. ولذلك كان السلف رحمهم الله يهتمون بروايته كاهتمامهم برواية الحديث النبوي من تحري صحة السند وثقة الراوي وعدالته و بيان الروايات المختلفة ومنزلتها من الثقة والضبط. ولعمري ان هذا هو الضامن لحفظ لغة العرب والكافل لصيانة كيانهم وقوميتهم ولهذا كان المعروفون بالشعر في قبائلهم وعشائرهم في الجاهلية والاسلام اكثر من ان يحيط بهم محيط او يقف من وراء عددهم واقف ، ولو انفذ عمره في التنقير عنهم واستفرغ مجهوده في البحث والسؤال . ولا احسب احدا من علمائنا استغرق شعر قبيلة حتى لم يفته منها شاعر الا عرفه ولا قصيدة الا رواها . حدث سهل بن محمد عن الاصمعى عن كردين بن مسمع قال جاء فتيان الى ابي ضمضم بعد العشاء فقال لهم ما جاء بكم يا خبثاء قالوا جئنا نتحدث قال كذبتم بل قلتم كبر الشيخ وتبلغته السن عسى ان نأخذ عليه سقطة فانشدهم لمئة شاعر كلهم اسمهم عمرو. قال الاصمعي فعددت وخلف الاحمر فلم نقدر على اكثر من ثلاثين، هذا ما حفظه ابو ضمضم ولم يكن باروى الناس ولا يبعد ان يكون من لا يعرفه من المسمين بهذا الاسم اكثر ممن عرفه، هذا الى من سقط شعره من شعراء القبائل ولم يحمله الينا العلماء والرواة . وقد قسموا الشعراء الى طبقات ومراتب فالطبقة الأولى طبقة شعراء الجاهلية . واعلى هذه الطبقة اربعة امرؤ القيس اذا ركب وزهير اذا رغب والاعشى اذا شرب والنابغة اذا رهب . والطبقة الثانية المخضرمون واعلى هذه الطبقة اربعة كعب بن زهير ولبيد بن ربيعة وحسان بن

ثابت والحطيئة والمخضرمون هم الذين ادركوا الجاهلية والاسلام . والطبقة الثالثة · الشعراء الاسلاميون واعلى هذه الطبقة اربعة ايضا جرير والفرزدق والاخطل والقطامي. والطبقة الرابعة. الشعراء المحدثون واعلى هذه الطبقة اربعة ايضاً بشار بن برد وابو العتاهيه وابو نواس ومسلم بن الوليد، ثم اربعة بعدهم ابو تمام والبحتري ودعبل الخزاعي وعلي بن الجهم · والطبقة الخامسة الشعراء المولدون . واعلى هذه الطبقة اربعة ايضا ابن الرومي وابن المعتز وابن طباطبا وكشاجم ثم بعدهم اربعة جحظة وابن بسام والصنوبري واللحام . والطبقة السادسة . الشعراء العصريون واعلى هذه الطبقة اربعة ايضا ابو الطيب المتنبي وابو فراس والسري والخالدي ، ثم بعدهم اربعة ايضا ابن نباته والسلامي والخوارزمي والبديع الهمذاني . وعلماء الادب مختلفون في شعر صاحبنا ابي الطيب فمنهم من يرفعه حتى يرجحه على ابي تمام والبحتري بالرغم عن ان لكل واحد منهما ديوان حماسة اليه المنتهى في بابه ومنهم من يرجحهما عليه . ولا شك ان ذلك منزع بعيد الشقة متشعب الاطراف ، وقد افاض في ذلك شراح الديوان ممن انتدب للكلام على ديوانه من اكابر اهل العلم وجلتهم فشرحه نحو الخمسين منهم بما يملاء مجلدات كثيرة وكفى بذلك دليلا على علو طبقتة في البلاغة وسعة تصرفه في المعاني الا ان جل هؤلاء تكلم عليه من حيث هو شعر ذو قوانين معروفة ومذاهب مألوفة فذكر ما له من المعاني المخترعة او المسبوقة وماله من الحسنات او السيآت في اساليب النظم ومذاهب الاستعارات والكنايات وسائر فنون المجاز وما خرج فيه عن مألوف الشعراء الى ما قصروا فيه عن مداه او ما شذ فيه عن مذهبهم الى ما شاكل هذه الاطراف مما ترجع جملته الى ادب الشاعر وصناعة البديعي ويكون مرمى لنظر علماء المعاني واصحاب الترسل في صياغة اللفظ وتقديره على المعنى وهذا مما الم به بعض المتكلمين على ديوانه

الا انهم على الغالب يشيرون اليه من جانب البحث ولا يتفرغون لاشباع الـكلام فيه ولم يشرح هذا الديوان شارح كالامام ابي الحسن علي بن احمد الواحدي المتوفى سنة ٤٦٨ ثمان وستين وار بعماية، فانه اجلها واجمعها نفعا وا كثرها فائدة وقد قال في خطبة شرحه هذا . ولقد رايت اشعارا منها شعر ابي الطيب المتنبي على انه كان صاحب معان مخترعة بديعة ولطائف ابكار لم يسبق اليها دقيقه ولقد صدق من قال

ما راى الناس ثاني المتنبي　　　اي ثان يرى لبكر الزمان

وهو في شعره نبي ولـكن　　　ظهرت معجزاته في المعاني

ولهذا خفيت معانيه على ا كثر من روى شعره من ا كابر الفضلاء كالقاضي ابي الحسن علي بن عبد العزيز الجرجاني صاحب كتاب الوساطة وابي الفتح عثمان بن جني النحوي له عليه شرحان المتوفى سنة ٣٩٢ اثنين وتسعين وثلثماية وابي العلاء المعري وابي علي ابن فورجه البروجردي وتكلموا في معاني شعره مما اخترعه وانفرد بالاغراب فيه وابدعه واصابوا في كثير من ذلك وخفي عليهم بعضه ولم يبن لهم غرضه المقصود لبعد مرماه اما القاضي ابي الحسن فانه ادعى التوسط بين صناعة المتنبي ومحبيه وذكر ان قوما مالوا اليه حتى فضلوه في الشعر على جميع اهل زمانه وقوما لم يعدوه من الشعراء وازدروه بالشعر غاية الازدراء حتى قالوا انه لا ينطق بالهوى ولم يتكلم الا بالـكلمة العوراء ومعانيه كلها مسروقة فتوسط بين الخصمين وذكر الحق من القولين واما ابن جني فانه كان من الـكبار في صنعة الاعراب والتصريف غير انه اذا تكلم في المعاني تبلد حماره ولقد استهدف في كتابه الفنين غرضا للمطاعن اذ قد حشاه بالشواهد الـكثيرة التي لا حاجة بها المستغنى عنها في

صنعة الاعراب ومن حق المصنف ان يكون كلامه مقصوراً على المقصود بكتابه
و بما يتعلق به من اسبابه غير عادل الى ما لا يحتاج اليه ثم اذا انتهى به الكلام
الى بيان المعاني عاد طويل كلامه قصيرا. واما ابن فورجه فانه كتب مجلدين لطيفين
على شرح معاني هذا الديوان سمى احدهما التجني على ابن جني والآخر الفتح على
ابي الفتح افاد في الكثير منهما غائصا على الدرر ثم لم يخل من ضعف القوة
البشرية والسهو الذي قل ما يخلو عنه احد من البرية وذكر الواحدي ايضا في
آخر شرحه للديوان المذكور ما نصه هذا آخر ما اشتمل عليه ديوانه الذي رتبه
بنفسه وهو خمسة آلاف وار بعماية وار بعة وتسعون قافية وتقدر الفراغ من هذا
التفسير والشرح منه في اليوم السادس عشر من شهر ربيع الآخر سنة اثنتين
وستين وار بعماية ٤٦٢ وانما دعاني الى تصنيف هذا الكتاب مع خمول الادب
وانقراض زمانه اجتماع اهل العصر قاطبة على هذا الديوان وشغفهم بحفظه وروايته
وانقطاعهم عن جميع اشعار العرب جاهليها واسلاميها الى هذا الشعر حتى كأن
الاشعار كلها فقدت وليس ذلك الا لتراجع الهمم وخلو الزمان عن الادب وقلة العلم
بجوهر الكلام ومعرفة جيدة من رديئه ومع ولوع الناس به لا يرى احد يرجع في
معرفته الى محصوله وانما المفزع منه الى تفسير ابي الفتح ابن جني فانه اقتصر في
كتابه على تفسير الالفاظ واشتغل بايراد الشواهد الكثيرة ومسائل النحو الغريبة
حتى اشتمل كتابه على معظم نوادر ابي زيد وابيات كتاب سيبويه واكثر مسائله وزهاء
عشرين الفا من الابيات الغريبة وحشاه بحكايات باردة لا يحتاج في تفسير هذا
الديوان الى شيء منها. هذا كلام الواحدي وعارض بعض الافاضل فيه حيث قال
ليس ما اخترعه من المعاني الدقيقة وانفرد بالاغراب فيه وابدعه هو العلة في خفاء
تلك المعاني لانك اذا صورت معنى البيت باللفظ الذي حقه ان يصور به ذهب

خفاؤه مهما كان دقيقا وأشر به الفهم على غير كلفة ولا عناء بل حتى كان الكلام مفرغا في قوالب من الوضع لا يخرج عنها جاريا على سنة من التعبير لا يتعداها وكانت تلك القوالب وهذه السنة معروفة عند السامع قلما يتخلف المعنى عن اللفظ الا بمقدار ما تحيط به الروية ويتناوله الذهن ولكن ما ذكر للمتنبي من خفاء المعاني وغموضها ليس الا من قبيل الابهام في اللفظ والتعمية في صور التراكيب والباس المعنى غير ثوبه الذي يظهر به تقاطيعه وانزاله في غير منزله الذي يقرع عليه بابه وهي طريقة له اختطها لنفسه واكثر من التعمل لها والنزوع اليها واذا اعتبرت جملة شعره وجدت ذلك لا يختص منه بمواضع الدقة والاختراع بل كثيرا ما ترى الامر بعد التحقيق ناطقا بالخلاف واقعا على العكس فانك اذا تفقدت ابياته من هذا الضرب وعانيت استخراج ما فيها الى ان يستقيم لك وجه من الاوجه التي يحتملها لا تكاد ترى وراء ذلك كبير امر [1] بل قل ان ترى له بيتا قد خفي سره وبعد مغزاه الا وهو على الاكثر من ساقط شعره ومبتذل معانيه وكانه يحاول ان يخرجه الى الاغراب وشتان ما بين الاغراب اللفظي والاغراب المعنوي وربما كان المعنى من مثل ذلك مسبوقا فيحاول ان يبعد به عن اصله ويغير ديباجته بغير لونها فيفسد عليه وكثيرا ما يقع له ذلك من استعمال اللفظ في غير موضع استعماله او حذف شيء في غير موطن الحذف او تشويش التركيب بالتقديم والتأخير فيما حقه العكس او زيادة حشو يفرق بين اجزاء المعنى ولذلك ترى اكثر هذه النظائر في شعره قد ظهر عليها اثر الصنعة وتجاذبها التكلف والتعقد حتى تخرج عن سنن الفصاحة وطريق البداهة الى ما يدخلها في الركاكة ويميل بها الى اللغو والخطأ

---

(١) اي من الدقة والاختراع البديع ولطائف الابكار التي لم يسبق اليها صحة

وهذه الوجوه واشباهها هي مورد اكثر ما يرى في شعره من تلون الاحتمالات واختلاف مذاهب التأويل هذا ما ذكره بعد الافاضل وهو كلام وجيه قال ابن خلكان:— والمتني وان كان مشهور الاحسان في النظم فقد كانت له معان يجيدها في النثر والناس في شعره على طبقات فمنهم من يرجحه على ابي تمام ومن بعده ومنهم من يرجح ابا تمام عليه واعتنى العلماء بديوانه فشرحوه قال احد المشايخ الذين اخذت عنهم وقفت له على اكثر من اربعين شرحا ولم يفعل هذا بديوان غيره ولا شك انه كان رجلا مسعودا ورزق في شعره السعادة التامة انتهى .

واول شعر نظمه المتنبي وهو صبي قوله:

بابي من وددته فافترقنا وقضى الله بعد ذاك اجتماعا
فافترقنا حولا فلما التقينا كان تسليمه علي وداعا

وقال وهو صبي :

ابلى الهوى أسفا يوم النوى بدني وفرق الهجر بين الجفن والوسن
روح تردد في مثل الخلال اذا اطارت الريح عنه الثوب لم يبن
كفى بجسمي نحولا انني رجل لولا مخاطبتي اياك لم ترني

اما قصائده المنتخبة فقصيدته التي مطلعها

الا لا اري الاحداث مدحا ولا ذما فما بطشها جهلا ولا كفها حلما

وهي مرثية في جدته لامه وفيها يقول

اتاها كتابي بعد يأس وترحة فماتت سروراً بي فمت بها غما
حرام على قلبي السرور فانني اعد الذي ماتت به بعدها سما
وما انسدت الدنيا علي لضيقها ولكن طرفا لا اراك به اعمى

وقصيدته التي مطلعها

ملومكما يجل عن الملام　　　ووقع فعاله فوق الكلام

وفيها يقول

ولما صار ود الناس خبا　　　جزيت على ابتسام بابتسام

والخب الخداع يقول ولما صار ود الناس مخادعة يبشون بوجوههم وقلوبهم مطوية على المكر جاريتهم على اخلاقهم فابتسمت اليهم كما يبتسمون الي وصرت اشك فيمن اصطفيه . لعلمي انه بعض الانام .

يقول لعموم الفساد في الخلق كلهم صرت اتهم من اختاره لمودتي لعلمي انه واحد منهم. حكي عن ابي الطيب انه قال كنت اذا دخلت على كافور انشده يضحك الي ويبش في وجهي حتى انشدته هذين البيتين فما ضحك بعدها في وجهي الى ان تفرقنا فعجبت من فطنته وفيها يقول ايضا

يحب العاقلون على التصافي　　　وحب الجاهلين على الوسام

والوسام حسن الصورة

وقصيدته التي مطلعها

كفى بك داء ان ترى الموت شافيا　　　وحسب المنايا ان يكن امانيا

تمنيتها لما تمنيت ان ترى　　　صديقا فاعيا او عدوا مداجيا

اذا كنت ترضى ان تعيش بذلة　　　فلا تستعدن الحسام اليمانيا

وفيها يقول

وللنفس اخلاق تدل على الفتى　　　اكان سخاء ما اتى ام تساخيا

وقصيدته التي مطلعها

على قدر اهل العزم تاتي العزائم وتأتي على قدر الكرام المكارم
وتعظم في عين الصغير صغارها وتصغر في عين العظيم العظائم

وفيها يقول

هل الحدث الحمراء تعرف لونها وتعلم اي الساقيين الغمائم
سقتها الغمام الغر قبل نزوله فلما دنا منها سقتها الجماجم

والحدث قلعة بناها سيف الدولة

وقصيدته التي مطلعها

لا خيل عندك تهديها ولا مال فليسعد النطق ان لم يسعد الحال

الى ان يقول

لا يدرك المجد الا سيد فطن لما يشق على السادات فعال
لا وارث جهلت يمناه ما وهبت ولا كسوب بغير السيف سئآل

وهي في مدح فاتك الكبير وقصيدته الاخرى في رثائه التي مطلعها

الحزن يقلق والتجمل يردع والدمع بينهما عصي طيع
والنوم بعد ابي شجاع نافر والليل معي والكواكب ظلع

الى ان يقول

تصفو الحياة لجاهل او غافل عما مضى فيها وما يتوقع
ولمن يغالط في الحقائق نفسه ويسومها طلب المحال فتطمع

الى ان يقول

كنا نظن دياره مملوءة ذهبا فمات وكل دار بلقع

واذا المكارم والصوارم والقنا وبنات اعوج كل شيء يجمع

يقول كنا نظنه صاحب ذخائر من الاموال حتى مات فاذا داره خالية واذا كل ما يجمعه في حياته المكارم والاسلحة والخيل دون الذهب لانه كان يبدده بالعطايا وقصيدته التي مطلعها

بغيرك راعيا عبث الذئاب وغيرك صارما ثلم الضراب
وتملك انفس الثقلين طرا فكيف تحوز انفسها كلاب

وقصيدته التي مطلعها

نعد المشرفية والعوالي وتقتلنا المنون بلا قتال

في رثاء والدة سيف الدولة وقصيدته في مدح عضد الدولة التي مطلعها.

مغاني الشعب طيبا في المغاني بمنزلة الربيع من الزمان

يقول مغاني الشعب اي منازل شعب بوان بين منازل الدنيا بمنزلة الربيع بين فصول السنة وشعب بوان موضع عند شيراز كثير الشجر والمياه يعد من جنان الدنيا ومتنزهاتها الاربعة ثم قال

ولكن الفتى العربي فيها غريب الوجه واليد واللسان

وقد تكلم بهذه القصيدة على شعب بوان

وقصيدته التي مطلعها

واحر قلباه ممن قلبه شبم ومن بجسمي وحالي عنده سقم

الى ان يقول

الخيل والليل والبيداء تعرفني والسيف والرمح والقرطاس والقلم
صحبت في الفلوات الوحش منفردا حتى تعجب مني القود والاكم

القود جمع قادة وهي الارض ذات الحجارة السوداء والاكم جمع اكمة وهي الجبل الصغير وفيها يقول

اذا ترحلت عن قوم وقد قدروا ان لا تفارقهم فالراحلون هم

اي اذا ترحلت عن قوم وهم قادرون على ارضائك حتى لا تضطر الى مفارقتهم فهم المختارون لفراقك فكأنهم هم الراحلون عنك و بعده يقول

شر البلاد مكان لا صديق به وشر ما يكسب الانسان ما يصم

وقد تكلم على ديوان ابي الطيب جماعة (يتبع)

انحرافات في بسيكولوجية الخوف[1]

جلست منذ بضع سنين على شاطىء احدى البحيرات أتلذذ بالاستحمام بالشمس بعد أن نلت قسطي من الاستحمام بالماء. وقد القيت نظرة الى الماء فألفيت طائفة من صغار السمك تسطع في الشمس بين الفينة والأخرى. وان هي الا هنيهة حتى لحظت حركة واضطرابا. ذلك ان سمكة كبيرة من نوع الكراكي انقضت على تلك الجماعة فاختطفت واحدة منها واحتملتها الى بقعة استقرت بها. وليس ببدع ان يتفرق شمل ذلك السرب من صغار السمك، وقد ابدى كل لون من الوان الخوف. على انه بعد ان مر الخطر عاد السرب الى حياته الاعتيادية والخالية من كل هم على ما يتراءى. ثم ان تلك السمكة الضخمة اعادت الكرة على صغيرات السمك فتفرقت هذه والذعر يتملكها وانجلى الهجوم عن

(١) نقلت عن الانكليزية بتصرف

اختطاف سمكة ثانية . فصحت عزيمتي على مراقبةهذه الحركة المفجعة عن كثب والتطلع الى ما تنتهي اليه . وجدير بالذكر ان هجمات ذاك العادي توالت اربع عشرة مرة . وان الذعر الم بتلكم المخلوقات الصغيرة اربع عشرة مرة .

فقلت في نفسي لو حلت طائفة من الناس محل السمك وانقض عليهم وحش هائل وانتزع منهم واحدا لقيل في ذلك غير ما قيل عن السمك . أي لتولاهم ذعر شديد على نحو ما تولى تلك . الا أن تأثر الناس وانفعالهم لا يكون سريع الزوال دون ريب . فالقلوب منهم تخفق والانفاس تتسارع واعراض الخوف الاخرى تدوم بضع ساعات بل بضعة ايام . فما علة التباين في بقاء الخوف يا ترى ؟ ان التباين ناجم عن ان خوف السمك يتكرر ويتردد ، في حين ان خوف الناس لا ترداد نسبي فيه ولا تكرار . فالسمكة في كل وقت عرضة لورطة او تهلكة . واذا طال انفعالها بعد كل هجمة ذلك الطول المرهق الذي يتولى الانسان لم تتخلص من الخوف طيلة حياتها . بل هي تموت من الخوف بالمعنى الحرفي . ولعل الطبيعة زودتها بشيء يحملها على الهدوء بسرعة بعد ان يكون قد الم بها ذلك الذعر الشديد ، فتقوى على نسيان ما جرى لها وطمس معالمه ومحو آثاره . اما الانسان فليس امره هكذا . فان الخوف يدوم والغيرة تتغلغل في مزاجه وتنطبع أيما انطباع . والذي يتراءى ان كل حيوان من السمكة الصغيرة الى الانسان عرضة لأن يساوره الخوف وتتناوله هجماته . ولما لم يكن في المقدور تعلم الخوف أو سبر غوره كان علماء البسيكولوجية على حق في اعتبارهم عاطفة الخوف فطرية او غريزية.

وليس بخاف أن للعواطف عموماً وللخوف خصوصاً علاقة وثقى بحفظ الفرد وببقاء النوع الذي يؤلف الفرد قسما منه . وهذا يصدق على كل حيوان . فان

الخوف له قيمة باقية سواء أكان ذلك مبيناً في الهرب أم الجمود أم الارتجاف أم الشلل . والحيوان الذي لا يخاف لا يقوى على البقاء في عالم سداه الخصومة ولحمته العداء . ولذلك يرجع الخوف الى أقدم اسلافنا ، وهو لا يزال قويا فينا رغم كوننا نعيش في بنايات لا تنفذ اليها النيران ولا العواصف ولا اللصوص . ولا بد من ان حياة الانسان الاول كانت حياة خوف اشد كثيرا مما نحن عليه ، ومع ذلك فالاشياء التي نخشاها لا يأخذها الاحصاء .

وحري بالذكر ان الدراسة العلمية لعاطفة الخوف بدأت منذ قيام داروين . ففي سنة١٨٧٢ نشر رسالة فائقة عنوانها « اظهار العواطف في الانسان والحيوان » ولقد كانت هذه الرسالة توسعاً في كتاباته في النشوء والارتقاء . فاذا كان الانسان والحيوان متسلسلين من سلف مشترك وجب ان لا تكون البينة على ان اصلهما واحد من شكلهما البدني فحسب ، بل ايضا من حياتهما العقلية والعاطفية . فهو درس عواطف الناس والحيوانات وأبان بطريقة تكاد تكون جازمة ان التعبير عن العواطف ، مثل التكشر عن الانياب عند الغضب مما اشترك فيه الانسان والحيوانات الدنيا برهنت ان أصلهما مشترك .

ولقد جاء الاستاذ جيمس الاميركي سنة ١٨٨٤ والاستاذ لانغ الدانيمركي بنظرية تكاد تكون جديدة وهما لا يعرف احدهما الاخر . وهي تدعى نظرية جيمس — لانغ ، فكتب جيمس في سياق كلامه عن العواطف الخشنة ما يأتي:— « ان المدرك او الحصيف يقول : اذا خسرنا مالنا حزنا وبكينا ، واذا لقينا دبا خفنا وركضنا ، واذا احتقرنا مزاحم اغتظنا وضربنا . وهذا القياس او الفرض يقول ان ترتيب هذا التسلسل غير صحيح وان الحالة العقلية الواحدة لا تسببها حالا

الحالة الاخرى ، وأن ما يبديه الجسم من تاثرات يجب اولا ان يتوسط بينها ، وان القول الاقرب الى العقل هو : اننا نحزن لاننا نبكي، ونغتاظ لاننا نضرب، ونخاف لاننا نرتجف ، وليس اننا نبكي ونضرب ونرتجف لاننا حزانى ومغتاظون وخائفون، على حسب ما تكون الحالة »

وليس بخاف ان هذه النظرية لا تصح في كل امر أو عند كل تفصيل . على أن هنالك حقاً غير قليل عندما يقال ، اذا نحن اقلعنا عن اعمال الخوف وزينا انفسنا بالشجاعة انقطع ظهور الخوف بالكلية او تلاشى بسرعة . فان مصارع الثيران، وهو يعذب الثور في غير اكتراث ، لا ياخذه خوف على الارجح . ولكنه اذا فقد رشده وهرب ، والثور الهائج يتبعه، شعر على الارجح بنفس ما نشعر به نحن ، لو كنا في نفس الظروف . ان مكدوكل في مطابقاته الاربع عشرة بين الغرائز والعاطفة يضع غريزة النجاة (غريزة حفظ النفس والاجتناب والخطر) في مصاف عاطفة الخوف (الرهبة والرعب والانزعاج والارتجاف) وقد تبدت لكل واحد العلاقة القائمة بين الهرب والخوف .

ان الاستاذ ب. وطسون توصل بعد مراقبة سلوك صغار الاطفال مراقبة طويلة ودقيقة الى هذه النتيجة وهي ان الاطفال يظهرون عواطف ثلاثاً وهي:— الخوف والحب والغيظ . وبما انه عالج دراسة الخوف معالجة طويلة باخذه الاولاد الى حدائق الحيوانات ووضعهم في مواقف تدعو الى الخوف وتثيره ، وجد ان الاصوات الفجائية العالية الصادرة من الحيوانات لم يعمل سواها مما هو موجود في في الحديقة على اثارة الخوف في الاطفال الصغار واحداثه . ولما قام بالاختبارات في مختبره وجد ان تغييرات الموقف المفاجئة التي ينجم عنها الشعور بعدم الأمان

تثير ارجاع الخوف ، شانها في ذلك شان الاصوات العالية المفاجئة. فاذا نبشت فجأة البطانية المتوترة او المشدودة التي كان الطفل مضطجعا عليها اظهر الطفل رد فعل للخوف . ولم يجد وطسون من دواعي اثارة الخوف في الاطفال سوى الاصوات العالية وفقد الامن .

ومما هو معلوم لدى كل انسان ان الاولاد الكبار والرجال تخيفهم اشياء اكثر جدا من الاصوات العالية وفقدان التوازن . فنحن نخاف حقيقة الف شيء وشيئاً. اننا نحن الكبار نخاف ان من نحب مزمعون ان يموتوا ، واننا على وشك فقدان وظائفنا، واننا سنصاب بمرض السرطان أو اننا قد لا يكون نصيبنا السماء عندما نموت . فكيف اذن تتجمع فينا المخاوف . انها تتراكم على راي وطسون بسبب وضع الفرد في ظروف خاصة . فقد وضع هو نفسه ولداً عمره احد عشر شهراً في ظروف تعرضه للخوف من الحيوانات بل من كل شيء له شعر مثل المعاطف الكبيرة المصنوعة من الفراء ومثل الرؤوس المصنوعة من شعر حتى ومن الصوف القطني . وقد تم ذلك بالضرب على قضيب من حديد بالشاكوش في كل مرة يقبل الطفل على حيوان من حيوانات المختبر (جرذ أو أرنب) التي كونت قسما من الاشياء التي كان يلعب بها او معها . فانتقل الخوف من الصوت العالي الى الحيوان وما يشبهه . وهذا الوضع في الظروف الخاصة يفسر في غالب الاحيان خوف الولد من الظلام . وقصف الرعد بعد تألق البرق سبب كاف لذلك. ان المخاوف التي تحدث لنا في زمن الطفولة او الصبوة تبقى فينا راسخة حتى سن الشيخوخة . فاذا ولد اوقعه كلب مخيف لازم هذا الولد الخوف من الكلاب طيلة حياته .

وثمة مثال حري بالاعتبار للوضع في ظروف تحمل على الخوف من الاحواش

او الاماكن المكتنفة بسور وهو ان طبيبا موظفا أمسى في احدى الجبهات الحربية شاذاً الى درجة الجنون بحيث صار يفضل ان ينسل الى البقاع المكشوفة المليئة بالاخطار على الخنادق المامونة غير المفتوحة . وكان هذا التصرف منتهى ما يوصل اليه الخوف من الاحواش . وقد ظهر فيه هذا الخوف في سابق حياته اذ كان يجانب السفر في السكك الحديدية التي تحت الارض ولا يجلس في قاعات التمثيل الا عند المخرج . وقد اكتشف احد العلماء بفضل التحليل البسيكولوجي الداء الدفين . ذلك ان الطبيب وهو ابن خمس سنوات اخذ قناني ليبيعها من رجل يتعاطى تجارة الخرق والعظام في حوش، وعندما انتهى من مهمته واراد الخروج من الحوش اذا ببوابته يطبقها الريح واذا به امام كلب اغلق عليه مثله . فاخذ الكلب يهر عليه ، ونجم عن هذه الحالة — كلب يهر وولد صغير مغلق عليه — أن سلك هذا الطبيب سلوكه المستهجن الذي انتهى بتلك الحالة المروعة في الجبهة . نعم انه نسي حادث الحوش ولكن سلوكه تاثر به دائماً فيما بعد . وانه من دواعي الغبطة ان الرجل شفي وعاد الى عقله ومهنته . كم هم الذين منا تساورهم المخاوف غير المعقولة بل تتملكهم ، وهي تذيقنا الأمرين بل تمزق حياتنا كل ممزق . ولو راجعنا تلك المخاوف الى اسبابها الاصلية وتحررنا منها بالتخلص من تاثير تلك الظروف التي سببتها تخلصاً تدريجيا حاذقا لملكنا الحرية الحقة — اذ لا حرية مع خوف — ولكنا سعداء هانئين .

لانه حتى المخاوف التي تأصلت وكادت تستعصي، في المقدور التخلص من تأثير الظروف التي دعت اليها . فقد حرر احدهم ولدا عمره خمس سنوات كان يرتاع جدا من جميع الحيوانات حتى غير المؤذي منها كالارانب . وكان الشفاء بطيئا ومتوقفا على تعريف الأرانب اليه في ظروف غير مخيفة : كأن توضع في بادئ الامر

في قفص عن بعد ثم تقرب اليه شيئاً فشيئاً . فاصبح في مقدور الولد بعد ثلاثين يوماً ان يتناول طعامه والارنب على احدى ركبتيه يضع يده عليها بين الفينة والاخرى . هذا وان رجال التحليل البسيكولوجي لا ينفكون عن القول ان هذه الامراض المزعجة لا تستاصل شأفتها او يمحى اثرها محوا تاما ، بل هي تكبت كبتا شديدا . وهي تقض مضاجعنا في هذا الكبت . هذا ويذهب فرويد الى ان الحالات الجنسية هي اشدعناصر الحياة ارهاقاً وازعاجا، وهي اكثر الاحايين مكبوتة. ولقد اظهرت الحرب الكبرى أن « الخوف » كان اشد الأمور ازعاجا للجنود فكانوا يخشون الخوف مثلما يخشون الموت . ويذهب بعضهم الى ان الجوع اقوى من الحالة الجنسية . وقد أيدت الاختبارات التي اجريت للجرذان هذا الراي بعض التأييد . ويرتاي غيرهم ان الدافع لطلب القوة متملك في الانسان . ومن هنا نشأت فيه معضلتا الشعور بالحقارة والشعور بالعظمة . و بينا نجد أن كثيرا من التفاسير للمذهب التحليلي البسيكولوجي لا تعدو الوهم والتصور ، نرى ان صفات الخوف المزعجة ثابته ومقررة .

واذا نظرنا الى الخوف وما يقوله العلماء عن الغدد التي تسببه ، مما لا محل لذكره هنا ذكرنا هذه الحقيقة:—وهي ان عواطفنا متغلغلة في القدم اكثر من عقولنا. ونحن لا نزال نعيش في عالم علمي اوجده رجل العلم عيشا عاطفيا ، على نحو ما عاش الانسان الذي سكن الكهوف . وهذا يسبب معظم المضايقات التي نخضع لها في عالمنا هذا ، وهو اشد العوالم نقصا . ولا نخرج عن الحق قيد شعرة اذا نحن قلنا انه لو امكن التخلص من الخوف وعواطف اخرى تشاكله لتخلصنا من معظم الامور التي تقف عقبة كأداء في سبيل عيشنا السعيد . فان الحروب مثلا تزول بين عشية وضحاها تقريبا وتغلق المستشفيات الغاصة جدا بذوي

الامراض العقلية لعدم وجود مرضى . وقد اكتشف علماء البسيكولوجيا وغيرهم الاسباب والشافيات . على أن تطبيق تلك المكتشفات من حيث الوقاية والشفاء لم يعمل به بعد . وفي بعض الاحيان يتراءى لنا ان العلوم الاجتماعية يتعذر عليها ان تسير مع العلوم الطبيعية جنبا الى جنب . على انه اذا لم تسد الثغرة بين هذين النوعين من العلوم كانت الحضارة مقضيا عليها بالشؤم ونكد الطالع .

حبيب الخوري

البحر الميت[١]

اتجهت الأنظار كثيراً في الآونة الأخيرة الى البحث عن البحر الميت وفوائده الاقتصادية الجمة وها نحن نثبت هنا بعض الحقائق التي اقتبسناها من مقال درج في مجلة جغرافية اسمها (The Journal of Geography المجلد الرابع والثلاثين— العدد السادس ايلول سنة ١٩٣٧ بقلم ري كاستو(E. Ray Casto) وقد حذفنا من هذا المقال بعض النقاط التي أصبح معظمها معروفا عند قراء مجلة الكلية العربية .

كان البحر الميت في طوله يبلغ ثلاث مرات او اكثر من طوله الحالي[٢] اذ كانت نهايته الجنوبية تمتد الى مسافة ثلاثين ميلا او اكثر من امتداده في الوقت الحاضر . وكانت نهايته الشمالية تصل الى ما وراء بحيرة طبريا . ولقد عرفت طبيعة هذا البحر الشاذة منذ زمن قديم ،فقد ذكر ذلك الجغرافي اليوناني سترابون حوالي سنة

---

(١) كتب شيء عن هذا الموضوع في مجلة الكلية العربية فنلفت النظر اليه .

(٢) يبلغ طول البحر الميت الآن ٤٧ ميلا .

٦٥ ق.م. ولكن لم تكن هنالك فكرة منظمة عن هذا البحر حتى سنة ١٨٣٨ حين قدم رجل ارلندي اسمه كستجان (Castigan) على رأس بعثة لم تأت بنتائج ناجحة. ثم تبع ذلك جمعيات انكليزية وفرنسية وامريكية وألمانية لدراسة خصائص هذا البحر غير أن دراسة نفع المعادن التى توجد فيه من الناحية التجارية لم تبدأ الا سنة ١٩١١ وقد نتج عن هذه الدراسات جميعها إنشاء المصانع لاستخراج هذه الثروة المعدنية. ولقد جربت الحكومة البريطانية أن تحلل ماء البحر الميت بسبب نقصان كمية البوتاس اثناء الحرب العالمية في السنين الآتية من سنة ١٩١٨—١٩١٩ ومن سنة ١٩٢٤—١٩٢٩ فكانت نتائج هذا التحليل في لندن ما يلي :—

كلوريد البوتاسيوم (بوكل KCl)	٢،٠٠٠	مليون طن
بروصيد المغنيسيوم (مابر٢ $MgBr_2$)	٩٨٠	" "
كلوريد الصوديوم (ص كل NaCl)	١١،٠٠٠	" "
كلوريد المغنيسيوم (ما كل٢ $MgCl_2$)	٢٢،٠٠٠	" "
كلوريد الكالسيوم(كا كل٢ $CaCl_2$)	٦،٠٠٠	" "
كبريتات الكالسيوم (كا كب ا٤ $CaSO_4$)	١٢٠	" "

ويضيف نهر الأردن ونهيرات أخرى تصب في البحر الميت من الأملاح ما يقرب من ٤٠،٠٠٠ طن من البوتاس سنوياً .

ويستعمل البوتاس في عدد كبير من الصناعات المختلفة كالتلبيس بالكهرباء والتصوير والطب والدباغة والصباغة وفي صناعة الصودا (Soda) والزجاج والكبريت والمفرقعات ولكن استعمال البوتاس الرئيسي هو السماد لأن ما يستعمل منه لهذه الغاية يقرب من ٩٢٪ من المجموع بينما ٨ ٪ منه تستعمل في الصناعات الأخرى التي ذكرناها والتجارب الزراعية بينت أهمية استعمال البوتاس في زيادة المحاصيل الزراعية.

ويستعمل البروم في الطباعة والتصوير وفي الكيمياء التحليلية ولكن استعماله الرئيسي هذه الايام هو في صناعة رابع اثيل الرصاص "Tetraethyl Lead" الذي اذا أضيف الى الغازولين يعطي الآلات الميكانيكية قوة جديدة ويسهل حركتها.

ولقد بدأت المصانع تستخرج البوتاس والبروم سنه ١٩٣١ ويساعد هذه المصانع كثيرا الحالة الجوية الممتازة فنجد سماء وادي الأردن صافية معظم أيام السنة حيث تكون عملية إشعاع اشعة الشمس دائمية طول السنة . اما درجة الحرارة العظمى في الشمس فهي عالية تصل الى درجة ١٦٧ ف ولذا فعملية البخر ظاهرة في هذه المنطقة وسريعة .

وعملية البخر التي تصل الى ٩٠ بوصة في السنة تكثر في الملاحات التي توجد بجوار البحر الميت والملاحات هذه تشغل مساحة قدرها الف فدان تقريبا وهي مقسمة الى اجزاء متعددة يفصل بينها سدود خشبية ملأى بالتراب . وتسير في هذه الملاحات المياه ببطء من واحدة الى أخرى حتى تصب في البحر الميت . ويستعاض عن هـــذه المياه التي في البحر بمياه أخرى تصل هذه الملاحات بواسطة مضخات تسحب المياه من عمق ١٧٥ قدماً تحت مستوى السطح لان كمية البوتاس والبروم تكون ضعفي ما كان منها على سطح البحر .

وتتوقف سرعة الانتاج على ازدياد مساحات الملاحات التي تزيد في كمية البخر. وأول راسب في هذه الملاحات هو ملح الطعـام ويتبع ذلك البوتاس الخام (الكرنليت) و بعد اخذ الكرنليت يبقى البروم بكثرة في ماء البحر . وما يرسب من البروم في ملاحات البحر الميت يزيد ستة اضعاف على ما يرسب منه في ملاحات ألمانيا .

وفي السنة الاولى من بداءة العمل استخرج ١٣،٠٠٠ طن من أملاح البوتاسيوم الخام . وفي جوار البحر الميت مصنعان لاستخراج البروم :— الاول وقد تم سنة ١٩٣١ يخرج من البروم النقي حوالي طن واحد في اليوم — والثاني وقد انشىء سنة ١٩٣٢ يخرج من الكمية ضعفي ما يخرجه المصنع الأول. والناتج يعد من الجنس الطيب وسوقه رائجة . وبالرغم من أن الغاية من انشاء المصانع استخراج البوتاس والبروم فهناك مجال كبير لاستخراج مواد معدنية أخرى من ماء هذا البحر مثل كلوريد المغنيسيوم والكالسيوم. ولقد استخرج فعلا في المدة الأخيرة بعض كلوريد المغنيسيوم . وبسبب فقدان الحديد من ماء البحر فالناتج من كلوريد المغنيسيوم نقي فوق المعتاد . وكلوريد المغنيسيوم هذا يستعمل في الصناعات الكيماوية وصناعة المنسوجات .

وبما أن الحصول على كمية كبيرة من كلوريد الكالسيوم لا يحتاج اليها كثيراً في الاسواق لذلك لا تستخرج كثيرا وحالما يحتاج اليها فاستخراجها سهل جداً .

وقديما كانت فلسطين منبعاً لوجود الحمّر فيها. ويوجد الحمّر هذا في عدة اماكن على طول شاطيء البحر ويقال انه نشأ من نفايات تخرج من فرَجٍ موجودة في طبقات أرضية مدفونة .

وتأتي كميات كبيرة الى سطح الماء ثم تجرف الى الشاطيء وهذا يكون عادة بعد حدوث الزلازل في هذه المنطقة . اما لون الحمّر في البحر الميت فهو أسود براق ذو رائحة شديدة كرائحة البترول الخام وهو عادة يكون خاليا من الاوساخ . ولقلة الحمر الذي يستخرج من هذا البحر أصبحت أهميته التجارية قليلة .

ويوجد الكبريت في منطقة البحر الميت ولكنه في انتشاره موزع توزيعا

لا يستفاد منه ولكن البدو يجمعونه لغايات طبية .

أما رأسمال الشركة التي اسست لاستخراج المعادن من البحر الميت فقد كان مليوني دولار اشترك في اسهمها اليهود والانكليز والعرب . ولقد أضيف الى رأسمال هذه الشركة سنة ١٩٣٥ مقدار ١٠٤،٠٠٠ دولار والقصد من ذلك ان يقام مصنع على الطرف الجنوبي من البحر الميت .

حاصلات هذا البحر تذهب براً من البحر الميت الى القدس ومنها الى حيفا وبور سعيد عدا ما يستهلك في صناعة الصابون وصناعات أخرى محلية . وهذه الصادرات تجد سوقا رائجة في العالم فانجلترا مثلا تشتري معظم البروم والولايات المتحدة تشتري كمية كبيرة من البوتاس .

والبحر الميت معين لا ينضب للبوتاس عالمي ، اذ يستطيع أن يخرج سنويا حوالي مليوني طن مدة قرون كثيرة . والبحر الميت يعد من الموارد الرئيسية الاقتصادية في فلسطين .

وصفي عنبتاوى

السينما واثره

في ابنائنا

تضاربت الاقوال والاراء في موضوع السينما والطفل· وقد ملت الاسماع دفاع المحامين عن صغار المجرمين الذين يحالون الى المحاكم ، اذ يقولون «ان هذا الولد المذنب قد راى ذلك في السينما ».

ومع ان من السهولة بمكان ان يحضر الولد القاصر شريطاً لا تجوز رؤيته الا للكبار فان من الصعوبة بمكان في الحياة الحاضرة ان نحجب عن عقول الصغار خطر العدوى الاخلاقية ، ويكون شأننا في ذلك شأن من يحاول ان يمنع عن لندن خطر الهجوم بالطيارات . لست من القائلين بان يتعرض الصغار الى الاخطار دون قيد ولا شرط ، او ان نترك ذلك الى الصدف والاقدار ، فيتعرضون الى ما لا يجب ان يتعرضوا اليه . انما اقول ان من المستحيل تقريبا ان نحجب اولادنا عن المؤثرات المفسدة في حياتنا الحاضرة . ان الضمانة الوحيدة الاكيدة التي تحفظ صغارنا او شبابنا حتى من التعرض الى التجارب في الحياة الحديثة هي ان نشبعهم بمحبة الله والخوف منه ، ولكن حلا عملياً كهذا يراه الكثيرون سخيفاً في هذه الايام.

ما هو اثر الافلام السينمائية على عقول شبابنا ؟ ان من رايي ان لها اثرين رئيسيين واخر ثانوياً . فاما الرئيسيان فهما :

(١) ادخال الرعب الى قلوبهم .

(٢) ان في مقدورها — بل هي تعمل — عمل المسكن العقلي . وهي اشبه بالمخدر للدماغ ، ذلك العضو المهم الذي ينوم اثناء عرض الفلم وبعده ، في حين يرمي المرء الى ان يوجه قواه الدماغية الى الناحية التي تود الطبيعة منه ان يعمل فيها .

اما التأثير الثانوي فهو ان هذه الافلام تضخم ذاتية الفرد وتولد فيه الغرور والزهو . وهنا يجد العلماء النظريون بعض التبرير عند قولهم في الدفاع عن ذنوب صغار المجرمين « انهم رأوا مثل هذا في دور السينما » . ولا يمكن النكران بان العقل في الطفل الصغير تقليدي وان امثال هؤلاء الصغار قد حاولوا تقليد اعمال رأوها على الشاشة البيضاء . انما الخطأ هو ان يتبادر الى الذهن ان اشرطة السينما

لها اثر رئيسي في احداث الاجرام عند الصغار ، في حين انها تكاد لا تكون من الاسباب الثانوية . فان المجرم الصغير قد يكون تأثر بذات السهولة من حادثة حقيقية شاهدها في الحياة الواقعية وفيما قرأه في الروايات او الكتب او الصحف السيارة . ولا ريب ان الاشرطة لها اثر على عقول البالغين من الشبان والشابات في انها تحبب اليهم اعمالا يرونها على الشاشة البيضاء ، وهي تؤثر ايضاً بذات الطريقة ولكن الى درجة اقل على البالغين من الرجال والنساء .

دعنا نبحث في هذه الافلام كمسكن عقلي ، نراها انها عامل يقتل قوة التفكير. فان المعلم وهو يحاول تفسير نقطة غامضة على لوح الحائط يبتدئ يشعر بان الصف لم يعد منتبهاً انتباهاً كلياً لما يقوله لهم . واذن فلا شك من وجود نقص في ناحية ما وترى الطلاب يبتدئون يتهامسون خلسة ، او يتلهون بما يرونه امامهم من الادوات ، بل يقومون بكل شيء ، ما عدا ، ما يجب عليهم ان يقوموا به وهو ان يوجهوا قواهم العقلية الى ما يعرض المعلم عليهم من المسائل . ولا يلبث المعلم اذا كان لديه شيء من الحكمة ، ان يشعر بسبب هذا النقص ، فيساوره شعور يقرب من الخجل . ويرى انه لم يعد يقوم بعمله كما يجب . اذ يجب ان يصبح لوح الحائط شاشة بيضاء ، والاعمال الحسابية الشاقة ، فصولا من (الميكي ماوس) . وهكذا فلا تمضي برهة حتى يزول خمول الطلاب ، وحتى تبرق عيونهم، وحتى تهمل الادوات التي يلهون بها ، وتزول الرغبة في الهمس ، والمكالمة عندهم .

هذا المظهر الذي نشاهده يومياً في مدارسنا هو ابرز بل اهم اثر غير مرغوب فيه من آثار السينما على عقول الصغار. فان ذلك الطفل الذي يتربع في مقعده في دار السينما الفخمة يأخذ يتخيل حركات (الميكي ماوس) او (دونالد دك) ويكفيه ان يجلس

هناك ، وان تشل قواه الفكرية ، فيسبح في بحر من التلذذ الكسول الذي لا يحتاج الى اعمال فكر .

(عن ملحق التيمس التربيوي)

التهذيب الصحيح واثره في الحياة

نشطت البشرية منذ فجر المدنية لارتياد مناهل المعرفة ودور التهذيب لتخوض مضمار الحياة وهي متزودة بأفضل العدد واسمى الكفايات وكان التهذيب يتجه طيلة عصوره الى تكوين شخصيات بارزة تسير دفة الحياة ، وجماعات صالحة تقود الشعوب والاقوام الى افاق الحرية وينابيع الجمال . ولشد ما ايقنت الانسانية بعد اختبارات جمة وتطورات عديدة ان التهذيب الصحيح هو السبيل الوحيد لراحة المجتمع ولتقديم العلوم والفنون وخلق شخصيات جبارة تلمع في سماء البلاد منيرة ظلمات الحياة وجالبة الرفاهية والخير لبني الانسان .

البيئة والوراثة :— ان المخلوق عندما تنفخ فيه القوة العليا اول نسمة من نسمات الحياة تجمع فيه طائفة من النزعات والطباع والغرائز التي يرثها عن اهله الاقربين بموجب سنن الوراثة او عن اجداده الابعدين فتودع فيه عناصر كانت مطوية غير ان معظم ما في الطبيعة البشرية من خير وشر راجع الى البيئة فمعظم نزعاتنا وليدة اتصالنا بغيرنا من ابناء جنسنا . والفرد لا يمكنه ان يتحرر من نفوذ اسرته التي نشأ بين افرادها ولا من سلطان المدرسة التي يقضي عصر فتوته ضمن جدرانها ولا من تأثيرات موطنه الخاص الذي يظله سماؤه وتغذوه ارضه فالبيئة تتلقف المخلوق حال ولادته ، وتطبعه بطابعها الطريف. ولا غرو في ذلك فالانسان

اجتماعي بفطرته، فهو من الجماعة ويجب ان يعيش مع الجماعة. فليس من الانصاف والحالة هذه اهمال عامل البيئة وتجاهل مفاعيلها في بناء شخصية الفرد وتشكيل العناصر العقلية وتكيفها بالحياة العملية ، ولطالما اشتد الصراع بين الوراثيين الذين يضعون الوراثة في المرتبة العليا وبين البيئيين الذين يرون في البيئة العامل الاكبر في تكوين شخصية الافراد. والرجل المهذب يتأثر من حيث لا يشعر بالافكار العالمية فالمرء ليس ابن طبيعته فحسب، بل ربيب المجتمع ، وهكذا تشرع عوامل التهذيب في عملها ساعة يتقمط الطفل لفائف مهده وتستمر في عملها المتواصل حتى ساعة الفراق والموت الرهيب ، ويحاول التهذيب الصحيح طيلة هذه الفترة رفع الفرد والتسامي به الى كل كمال وجمال ممكن ، فيزوده بعدد الحياة لمصارعة الجهل والتغلب على الفاقة ولمواجهة اعمال الحياة بشوق زائد ، والاقبال على صعابها برغبة اكيدة والتهذيب الصحيح ما شبع بعناصر الخير والصلاح وسعى وراء منفعة البشرية جمعاء ورفع مستواها الفكري والخلقي والاجتماعي ليتسنى لكل امرىء ان يعيش عيشة تامة في هذه الحياة ·

التهذيب بركة ولعنة :— ان التهذيب كالسيف في يد الفارس يحمل قوتين واحدة للخير واخرى للشر فان استعمله الفارس لمطاردة اللصوص والمجرمين اتى بالبركات للبلاد وان استعمل في قتل الابرياء والتعرض لراحتهم جلب البؤس لتلك الجماعات الآمنة . فمن استعمل معرفته في سبيل الخير كان بركة للبلاد والانسانية، ومن سخر حكمته وعبقريته في طرائق الشر استاق أمته الى الدمار ، كالكهرباء اذا ما قيدت وضبطت حصل منها النور واذا ما اطلقت دون قيد حصل منها صواعق تحرق وتقتل . وواجب الحكومات واولي الشأن ان يروا التهذيب بعناصر الخير ويغذوه بالمفاعيل الصادقة لينهضوا بالبشرية الى افق الكمال والجمال ·

نتائج اهمال التهذيب :— ان اهمال التهذيب هو اهمال الحياة نفسها ، والاهتمام بالزائف منه معناه التقرب من مزالق السقوط ، ففي القديم زها التهذيب في دار الندوة الرومانية حيث تألب الفلاسفة وأشرقت شموس الحكمة وتبددت سحب الخرافات إثر ترعرع فلسفة ابيكتيتوس وماركس أوريلوس ، وسرعان ما تغلب التهذيب على الفروق الجنسية والمذهبية وعم احترام المصري العابد لسيرابيس والسوري الساجد لادونيس، والروماني الخاضع لجوبتر، فقد حدت الثقافة صنوف هؤلاء الاقوام وبعث التهذيب الصحيح احتراماً لتلك الطبقـــات التي نشأت حول تلال روما الزاهرة ، والان زال مجد تلك الندوة ، وتهدمت تلك الهياكل الشاهقة الانيقة ، ولو بحثنا عن اسباب تلك الرفعة وذلك الانحطاط لعرفنا ووصلنا الى حقيقة غير منتظرة ، لان التهذيب عينه هو الذي رفع روما العظيمة وجعلها سيدة العالم ، والتهذيب عندما فسد وطرأت عليه عوامل الضعف كان هو السبب في اسقاطها وتدهور ثقافتها وزوال مجدها، فالتهذيب الذي كان في الظاهر عنوان عزها كان بالتالي ضربة عليها وعقاباً عادلا لها .

وما حل بروما حل ببغداد ، فخر الخلفاء ومركز ثقافة العباسيين التي نشرت الهدى والعلم الى ما جاورها من البلدان ، غير انه حالما فسد تهذيبها ، وتشوهت ثقافتها ران على العقول خمول ، وتسرب الى النفوس شوق للترف ، فقام جماعة العبيد يبتزون الحكام تراث الرجولة ومهدوا السبيل لسقوط مدينة الحضارة العباسية بايدي الغزاة الفاتحين الذين جاؤوها من سهول آسيا الجرداء .

وما حاق بروما من مصير شائن ، ولحق بغداد من نهاية فجيعة ينطبق على كل قوم ومدنية أساءت الى وسائل التهذيب الصحيح وتمسكت بالزائف منه ،

واكتفت بالقشور، وليس التهذيب اجتياز الامتحانات دون الالتفات الى وسائل تنمية الذوق ، وتشجيع الحياة الاجتماعية وليس التهذيب التدثر في بطون المجلدات ، وحشو الدماغ بالمعارف المتقطعة المشلولة دون الاهتمام بتثقيف العقول وصقل النفوس وخلق شخصيات قادرة ان تواجه تيارات الحياة عقيدة تامة ورجولة صادقة .

دلائل حسن التهذيب : — واول دليل على التهذيب الصحيح اتقان اللغة الوطنية ، لانها واسطة للافصاح عما يدور في خلد المرء ، والسبيل للتقدم والنماء. فمن أتقن لغته واصبح قادراً على التعبير بها تعبيراً صحيحاً خدم ثقافته، وقام بواجبه كمواطن مهذب شريف ، ومن دلائل حسن التهذيب الاقبال على العمل وممارسته دون حياء او خجل ، اذ لا فائدة نتوخاها من طالب يشحذ قواه العقلية بدراسة مختلف النظريات وبالتضلع باصعب المعادلات وهو عاجز عن تطبيق معادلات الحياة الكبرى ونظرياتها العديدة على حياته العملية ، وما فائدة النجار الذي يلم بانواع الاخشاب ويدرس الدراســات النظرية المسهبة عن وصل الخشب وتنظيفه ، لـكنه عندما يصادف اكواماً من الخشب قرب ضفة نهر يعجز عن تنظيمها بصورة قارب يقله الى الضفة الاخرى ، وماذا يستفيـــد الطلاب عندما يتحول درس الرياضة البدنية الى شرح عن العضلات وحركاتها دون الالتجاء الى تمرينها عملياً في الساحة العامة بمختلف أنواع الرياضة . ويطلب من الرجل المهذب بعد اتقان اللغة الوطنية واقباله على العمل أن يكون ملماً باطوار الفـكر البشري والمدارس الفلسفية والنواميس الطبيعية والنهضات التاريخية ليبتعد عن الموضعية أو يصبح تفـكيره شاملا قريباً الى الحقيقـة التي هي معبودته وضالتـه المنشودة والتهذيب الصادق يرينا تلك القوة العظيمة التي تسير دفة الـكون وذلك النظام

الذي يسود في أصغر الذرات وأكبر الاجرام فنسمو بافكارنا الى الملأ الاعلى ونرتفع بتأملاتنا عن سفاسف الحياة المدنية الى افق الفضيلة وينابيع الجمال .

التهذيب قديما وحديثاً : في القديم نزع التهذيب الى تنشئة فئة صغيرة وعني أربابه بنشر الثقافة بين الطبقات الارسطوقراطية ، والاسر الرفيعة فاقتصر التهذيب على الاقلية المثرية ولم يعم سواد الشعب الذي هو عماد الامة . أما في عصورنا الحديثة ، فتيسرت السبل واخذ التهذيب يعم كل الطبقات، واصبح أمام الطبقات المتوسطة مجال واسع للرقي والتقدم ، وكان من جراء ذلك أن رفضت الجماهير سلطة الفرد واستبداد بعض الشخصيات ، وأقبلت بعزيمة صادقة للمشاطرة في الحكم ، والمساهمة في أساليب الحياة الاجتماعية والثقافية . ويخلق بنا ان نذكر ان التهذيب ينمو ويسير سيره الطبيعي في معارج التقدم مماشياً الحياة الاجتماعيةفي تطوراتها ، ومرافقاً العصور والنهضات في اتجاهاتها ونزعاتها ومن يرجع الى سفر الماضي يتحقق ان التهذيب كان في بادىء أمره بسيطاً ضئيلا كالسنديانة الكبيرة التي نشاهدها ضاربة جذورها الى مسافات بعيدة في وسط الغابة. كانت في سالف زمانها وبدء تكوينها بذرةصغيرةأخرجت للحياة نبتة صغيرة، انما مع الزمان كبرت ونمت ، وهذا التهذيب ابداً في نماء وتطور وهو يشيع الان في جميع الاوساط ويعمل عمله المتواصل في البيت والمدرسة والمجتمع . فمنواجب المربين والطلبة وكل مواطن صادق ان يبعد عن ينابيع التهذيب المتفجرة كل شائبة سوء او عامل فساد ليشيع التهذيب في عرق الامة وينشىء فيها شخصيات جبارة مشبعة بعناصر الخير والصلاح يخدمون فيها البلاد ويرفعون بها المجتمع .

على من تلقى المسؤولية : وسوف لا نلوم التهذيب لقصور يبدو منه فهو

آلة صماء في أيدي ولاة الامر ، وهو خادم صادق للبشرية، انما نلوم المسؤولين عن تطبيقه ، فاستعمال المكتشفات الكيمائية لاغراض غير مفيدة ولا يرجع الى رغبة الكيمائي في الحاق الضرر بالمجتمع بل الى ضعف الطبيعة البشرية وتأخرها وقد اعرب معظم الكيمائيين عن رأيهم يمقتون أشد المقت النزول بالعلم الى مستوى استعماله للتدمير فان احب الوالدون ان ينسج اطفالهم من ذلك النسيج الطاهر الذي نسجوا منه ، وان رغبوا ان يلبس فلذات اكبادهم لباسهم الشريف ، فما عليهم الا ان يبادروا الى المساهمة في المسؤولية الملقاة على عاتقهم ، ومعاهدة رجال العلم وولاة التهذيب في القيام بالواجب المقدس الملقى عليهم . وليحذر الآباء من اهمال تربية اولادهم لان الاهمال قد يخلق منهم السفلة المجرمين ، ولتحذر الامهات من اسناد تربية بناتهن للخادمات اللواتي يسممن افكارهن البريئة ويفسدن عليهن ذلك الجو الصالح للتربية .

ولست ادري ما عسى ان ينسجه التهذيب لبلادنا في الاعوام المقبلة من سرابيل المجد والفخار ، وليس في ميسوري ان احلم بما سوف ينال التهذيب من التغيير في ميادين العقول ، لكني ادري وانا انظر الى بحر المستقبل ان التهذيب ان اخلص رواده له وتفانى المسؤولون في سبيله سيخلق في عناصر امتنا شخصيات جبارة تحب العالم ، وترغب في الاتصال به وتريد خدمته ، فيكون لنا من هذا الشعور باعث يبعثنا الى الرقي فنرقى بانفسنا وبغيرنا ، وبالتالي نكون بركة لبلادنا وسعادة لابناء قومنا الناهضين .

الناصرة

ابراهيم مطر

اسباب عدم التذاذ الاطفال بدرس التاريخ

شرحت في مقال سابق بعض المبادئ العامة التي أراها ضرورية لتربية حس الزمن في الأطفال واقترحت بعض أساليب لتعليم هذه الناحية من التاريخ واليوم أتقدم لبحث مسألة أعتبرها مهمة من جهة التذاذ الطفل بالتاريخ وفهم مايلقي المعلم من حقائق تاريخية وما يسرد من قصص في صدر هذه الحوادث أوفي سياق الكلام عن عظيم من العظماء .

يضج اكثر المعلمين بالشكوى من ان تلاميذهم الصغار ينسون اكثر ما يلقنونهم أو يملون عليهم من الحقائق والقصص التاريخية ويقولون انهم ساروا في تدريسهم بحسب أحدث الاساليب واستعانوا باحسن ادوات الايضاح من رسوم وصور وخارطات وانهم ضربوا الامثلة الكثيرة ووقفوا عند آخر كل جزء من اجزاء الدرس وراجعوه بالاسئلة المعروفة باسئلة المراجعة الجزئية ولم ينتقلوا للجزء الثاني الا بعد أن يتيقنوا من أن تلاميذهم قد اتقنوا الجزء الاول ولم يغادروا غرفة الصف الا بعد ان قاموا بمراجعة عامة تناولوا فيها الدرس من أوله الى آخره .

يمضي على الدروس التي علموها شهر أوشهران فيذاكرون التلاميذ فيها فيجدون انهم قد نسوها فتقوم قيامتهم ويرمون تلاميذهم بالبلادة أو الكسل وربما قاصوهم بما يتفق لهم من أنواع العقاب. واذا ما زارهم مفتش وامتحن تلاميذهم ووجد أنهم مقصرون في الاجابة عن اسئلته بادروا الى مذكرات دروسهم وأطلعوه عليها وشرحوا له الجهود التي بذلوها في التعليم ليؤكدوا له أن التقصير من التلاميذ لا منهم .

واجهت مثل هذه الحالة حين كنت أعالج تمرين طلاب التربية في طولكرم على التعليم فاخذت ابحث في عللها واسبابها وبعد الاستقصاء وجدت ان عدم النجاح يرجع الى أسباب منها :

(اولا) — التاريخ في بعض نواحيه رواية اخبار وهذه الرواية تعتمد على الكلام وحظوظ الناس في ثروة الكلام متفاوتة ، فكلمات العالم اكثر من كلمات الجاهل وكلمات الكبير اكثر من كلمات الصغير فكيف يفهمنا الصغير اذا حدثناه بلغة لا يفهم معنى اكثر كلماتها .

يسمع الطفل في البيت حكايات كثيرة من أمه ويجلس وقتاً طويلا وهو يستمع اليها وعلامات الالتذاذ والاهتمام بادية على وجهه وفي ليلة ثانية يتعلق بأذيالها يسألها إعادة الحكاية او سرد قصة اخرى. أما في المدرسة فانه لا يلتزم السكون والهدوء في درس التاريخ الا لخوفه من العقاب فهو يتصنع الاصغاء للمعلم وفكره شارد في نواح أخرى وينتظر الفراغ من الدرس ليخرج الى ساحة اللعب ويسمر مع اخوانه سمراً لذيذاً يعوض به ما فاته في حصة الدرس فما السبب يا ترى ؟

الام تحدثه بلغة بسيطة لا تخرج في اكثر كلماتها عن مجموع الكلمات التي ألفها وعرفها او التي يستطيع إدراك معانيها من القرينة وتصور له اشخاص القصة باسلوب روائي جذاب يشعر معه كأنه يرى حركات هؤلاء الاشخاص ويستمع الى حوارهم وهم يتساجلون وتصور لهمسرح القصة كأنه يراه. أما المعلم فانه يعتقد ان التدريس يجب ان يجل عن هذه الاساليب البسيطة فيعمد الى مقدمات مصطنعة يمهد بها للكلام ويسير على أسلوب أشبه باسلوب المحاضرات ويستعمل الفاظاً وتراكيب أقل ما يقال فيها أنها فوق مدارك الطفل ولا تدخل في محصوله من

الـكلمات. فاذا حدثه عن عمر بن الخطـاب مثلا قال له « كان عمر بن الخطاب عادلا لا تأخذه في الحق لومة لائم فالضعيف عنده القوي حتى ياخذ له الحق والقوي عنده الضعيف حتى ياخذ الحق منه. ولا يهمـه اكان من يريد انزال العقوبـة به أميراً كبيراً ام كان صعلوكا حقيراً وهو فوق هذا كله ديمقراطي النزعة بعيـد عن الصلف والـكبرياء » .

والواقع ان اكثر المعلمين يحدثون طلابهم الصغار بمثل هذه اللغة وقد دونت في مذكرتي مثل هذا الحديث وقلت في نفسي لو ان مثل هذا الـكلام كان قطعة قصصية في أحد كتب القراءة الموضوعة للصغار لاسقطناها من الـكتاب حالا لصعوبتها واستحالة تفسير معاني الفاظها مهما برعنا في التفسير فـكيف بنا ونحن نسوقها في درس التاريخ سوقاً ونحن واهمون أن الطفل يدرك معناها ويتلذذ بها .

فما قيمة الحديث الذي لا يفهم ؟ تصور حالة تلميذ يقرأ في الجديـد الاول أو الثاني والمعلم يخاطبه في درس التاريخ بلغة قريبة من لغة كليلة ودمنة فهل يفهم التلميذ هذا الحديث او يتلذذ به ؟ قد يعترض بعض المعلمين على هذا الرأي بقولهم ان تلاميذهم يعيدون القصة بنفس الالفاظ التي سمعوها بها منهم ويتخذون ذلك حجة لتسخيف من يقول بتسهيل الـكلام . ان ما قد يحتجون به قـد لا يعدو وجه الصواب فالتلميذ الصغير يستظهر أبياتاً شعرية صعبة في درس المحفوظات ولـكن هل يفهم معناها أو يتذوقها ؟ التلميذ الصغير كالببغاء يحفظ بالتكرار مـا يسمع وباستطاعة كل معلم ان يحفظه المعلقات العشر ولـكن التعليم بمعناه الصحيح غير ذلك .

ارجو ان لا يفهم من كلامي هذا اني ادعو الى نبذ اللغة المهذبة في التعليم والى

اصطناع العامية التي تحاربها . كلا ، فليس هذا ما اردت بل ادعو الى استعمال لغة لا تعلو عن مدارك الطفل واذا ساقتنا الضرورة لاستعمال كلمات نقدر انها غير مألوفة لدى الصغار وضعناها في سياق الكلام في جمل تسهل فهم معانيها من القرينة او فسرنا معانيها ونحن نتكلم بها حتى يتمكن الطفل من متابعة الحديث وفهمه . ولذلك وجب علينا ان نفكر في الكلمات التي نستعملها في درس التاريخ تفكيراً جديا وان نحسن اختيارها حتى لا نضيع على الطفل الفائدة التي نتوخاها له ، وهذا لا يعني نبذ اللغة المهذبة بل من الممكن الاستمرار عليها باختيار أهون الالفاظ . ومن يطالع الكتب الانكليزية الموضوعة للصغار في التاريخ او غيره من العلوم المدرسية يجد ان المؤلفين قد اختاروا الفاظاً سهلة مألوفة لا خطأ فيها من جهة التركيب او اللغة ولكنهم جنبوها التراكيب الصعبة والكلمات الغريبة لتكون مفهومة . وما أحرانا ، ونحن نعنى بان نسير في التعليم على احدث الاساليب ان نتدبر هذا الامر ونعيره ما يستحق من الاهتمام .

والامر الثاني الذي اعتبره من اسباب عدم التذاذ الطفل بدرس التاريخ الاجمال في الكلام وقت القاء الدرس ، كأن الطفل يعرف التفاصيل ولم يبق الا ان نجملها له بأوجز العبارات . ولذلك فنحن نختصر الكلام عن حياة العظيم بصفات مجردة نذكرها عنه كقولنا كان رحيماً وعادلا ومنصفاً الى غير ذلك من الصفات المجردة (Abstract Adjectives) والتجريد (Abstraction) كما يعلم من عالج علم النفس من أرقى المراحل التي يصل اليها العقل الانساني ، فكيف يجوز لنا ان نواجه الطفل في المرحلة الاولى بأشياء لا يبلغها الا في اواخر مراحله التعليمية . ولا فرق عندي بين من يعرف الطفل بعظيم من العظماء بمثل هذه الصفات المجردة

التي ذكرت مثالا منها وبين من يسردها له بلغة اجنبية لان كلمات عادل ، ورحيم ومنصف لا توحي بأي معنى لعقل الطفل . والاجمال بهذه الصورة لا يقتصر في ضرورة على عدم التذاذ الطفل بالتاريخ ، بل يسلب هذا الموضوع مزية من اكبر مزاياه التهذيبية . فالتاريخ كما نعلم يعرف الطفل التمييز بين العدل والظلم وبين الحق والباطل لا في الفاظ جوفاء بل بأمثلة وشواهد حقيقية منتزعة من سير العظماء والجماعات . فاذا لم نطلع الطفل على هذه الشواهد باسلوب هين مشوق نحول بينه وبين الشعور بقدر العظيم وبين فهم حقيقة الفضائل التي امتاز بها ، فعمر بن الخطاب مثلا لم يعرف بالعادل الا لحوادث معلومة برهن فيها عن عدله فلنسرد للطفل حكاية او حكايات عن عدله . لا أزال اذكر ان احد الولاة الاتراك الاذكياء دخل مرة مدرسة ابتدائية وسأل احد التلاميذ عن ترجمة حياة أحد المشاهير من الرجال فاخذ التلميذ الصغير في سرد الصفات المجردة التي استظهرها . وحين وصل الى كلمة «العادل» سأله الوالي عن معناها فقال كانت عنده «عدول» كثيرة والعدول بلغة اهل ذلك البلد معناها «الاكياس» ولا يزال الطالب الذي أجاب بهذا الجواب حياً يرزق .

والامر الثالث الذي أعتبره جديراً بالاهتمام اختيار ما يلائم ذوق الصغير وعقله من جوانب حياة العظيم او الجماعة ، فلحياة العظيم والجماعة جوانب كثيرة بعضها من السهل ان يفهمها الصغير و بعضها من الصعب ان يدركها مهما سهلنا اللغة و برعنا في اسلوب الالقاء . ومن هذه الجوانب الصعبة أعمال العظيم والجماعة في ميدان الاصلاح الديني والدستوري مما يجب ارجاؤه الى مرحلة تعليمية أخرى لان مثل هذه الجوانب من الحياة غير داخلة في حدود اختبار الطفل ولذلك فلا يستهويه

سماع الـكلام عنها، واذا سرد في درس التسميع بعض حقائق عنها فقد حفظها بالتكرار ولـكنه لم يفهمها ولم تصبح جزءاً من نفسه. وما أحرانا ونحن نجنبه اكل بعض مطاعم لا تقوى معدته على هضمها ان نجنبه ايضاً بعض المباحث التي يعجز عقله عن ادراكها. وفي هذه المناسبة ادعو اخواني المعلمين الى مطـالعة الـكتب الحديثة التي وضعت في الطفولة ومراحلها المختلفة وما يلائمها في كل مرحلة من انواع العلم ودرجاته .

سأعود في فرصة أخرى انشاء الله لاستيفاء الـكلام عن اسباب أخرى لعدم التلذاذ الطفل بدرس التاريخ .

ادارة المعارف العامة **احمد الخليفه**

المعرفة الفضلى [1]

لقد اخذ الناس انفسهم منذ عصر سبنسر باصطناع المناهج الدراسية ، ومن أبرز الاساليب الفنية في انشاء هذه المناهج ما كان منها قائماً على قاعدة تحليل العمل . ومعنى ذلك انه اذا اردت ان تعرف ما ينبغي أن يعلم في المدرسة فعليك ان تقف على ما يحتاج اليه الاولاد بعد أن يبرحوا المدرسة ويخرجوا الى الحياة والعمل . وغير خفي ان زعيم هذا المذهب وحامل لواء هذه العقيدة المدرسية هو تشارتر . واسلوبه تجده في ما يأتي :— اذا اردت ان تعلم الحساب وتعرف اي نوع منه جدير بالعناية والادماج في منهاج الدراسة فاذهب الى المصرف واسأل

(١) نقلت عن الانكليزية بتصرف .

أولي الامر فيه عن الاعمال الحسابية التي يقوم بها رجال المصرف . واذهب الى النجار وقف منه على ما يحتاج اليه من علم الحساب في النجارة . واذهب الى صاحب المخزن وألم بما يستعمل فيه فعلا من انواع الحساب في الاعمال التي يقوم بها ذلك الحانوت ، وهكذا الى غير ذلك . وعندما تجمع معلوماتك واستدلالاتك تجد تقريبا ان ما يحتاج اليه في الحياة من معرفة باب الضرب انما هو الضرب بعدد واحد ، وان ٩٥ في المئة من الكسور التي تستعمل متضمنة في جدول بسيط مثل :— $\frac{١}{٢}$ ، $\frac{١}{٤}$ ، $\frac{١}{٨}$ ، $\frac{٣}{٨}$ ، $\frac{٣}{٥}$ وقليل غيرها . وانك لتجد ان رجال المصارف يستخرجون الفائدة على طريقة لا تعلم في المدارس أبدا ، وان معظمهم لا يستعملونها البتة ، بل هم يستغنون عنها بجداول الفائدة. وينقح تشارتر مساق دروسه الحسابية بموجب هذه المعلومات . اما الجذور المربعة والمكعبة والنظام المتري والقاسم المشترك الاكبر وما الى ذلك فقد أمست في لائحة الاشياء المنسية . ومهما يكن من امر فبعد اقصاء الاميركان للنظام المتري خاضوا غمار حرب كانت فيها كل شؤون المدفعية ، معمولة على حسب الاصول والترتيبات المترية . لقد كبوا الطفل مع الماء من الحمام . ان تشارتر حلل بطريقة تشبه تلك كلا من مهنة التعليم والبيع وطب الاسنان ، على ان أسلوبه تظلله الآن سحابة من الشك . وعلى كل فتحليل العمل قد يدل على « ماهية الشيء » ولكنه لن يقوى على الدلالة على ما يجب ان يكون . أي لن يقوى على تجهيزنا باهداف أو مرام . وهذه الاهداف هي الامور التي ينبغي اولا ان تقرر حتى قبل شروعنا في انتقاء موضوعات المنهاج .

وبوبت يذهب الى ان أمثل طريق للحكم في افضل ما تقدمه لنا المعرفة قائمة بأخذ أغلبية الآراء في الموضوع . ولعل لهذا المذهب ما يبرره، لانه لا شيء اشد تأكداً

من هذا الامر وهو : انه اذا اعتقدت اكثرية مواطنينا ان اكتشاف كولمبوس لاميركا سنة ١٤٩٢ هام وذو بال وجب علينا ان نعلمه اولادنا . ولذلك ألف بوبت جدولا يضمنه خمسمئة عمل من اعمال الناس الذين حوله وقدم الجدول الى الف وخمسمئة خريج في شيكاغو والى الف ومئتي معلم في لوس انكلوز ، وعلى آراء هؤلاء المحكمين بنى برنامجه الدراسي . على انه عندما نقرأ جدول بوبت تأخذ الشكوك تساورنا اذ نجد بين النقاط المذكورة في الجدول ما يأتي :— «المقدرة على ضبط الاشرطة المكتوب عليها الارقام او الاسماء في بيت الغسيل» «وبيع السيارات بطريقة تعود بالربح على الذي يبيعها» و «عمل النار في المخيم او المحلة» الخ . ليت شعري أيتحول جهل الجماعات حكمة بهذه الطريقة؟. كلا. أما انا فافضل ان استرشد برأي واحد حكيم على مجموعة مؤلفة من الوف الآراء السخيفة

يعمل رجال التهذيب الراقون على ان يكون صوتهم مسموعا في هذه الايام ما الذي يتميز به التهذيب الراقي عن جميع انواع التهذيب الاخرى ؟. يتميز بان الولد يختار المنهاج الدراسي. وقد ينكر المهذبون الراقون ذلك ، الا ان اختيار الولد المنهاج هو الناحية المتميزة في نظامهم . فاننا نجد في كتاباتهم اشارات الى المدرسة المتمركزة على الولد والى ضرورة اظهار ذاتية الولد دون ان ترهقها العوامل المدرسية الخارجية . ولذا يقول المعلم للولد :— ماذا تحب ان تدرس اليوم يا صغيري العزيز والذي يختاره الصغير العزيز هو عين الصواب والحق . لان ذلك يظهر شخصيته وهو يناقض كل المناقضة النظام القائل :— هذا ما يجب عليك ان تتعلمه، انصرف الى عملك، والسماء تحميك اذا لم يكن عملك صحيحا. الأمر غريب . فكم هم الاولاد الذين يسمح لهم ان يظهروا شخصياتهم البديعة في طريقة طبيعية ينقلبون اولادا

فيهم نقص ولهم مشكلات . زار بعضهم احدى المدارس وفيما هم يدخلون رأوا ولداً عمره ست سنوات وهو عابس والعقدة بين حاجبيه . فتقدم اليه احد الزائرين وسأله في منتهى الرقة واللطف : ماذا تعمل هنا ؟ فاجابه لا شيء ! ألا تعلم انني احد الاولاد الذين يعتبرون ان فيهم نقصا ولهم مشكلة ودرجتي (ج) . عسى ان لا تسيئوا فهمي عند ما اقول :— انني اعتقد بوجوب الاهتمام بالفروق الفردية التي نجدها بين تلامذتنا، غير ان هذا ليس معناه ان الاولاد يجب ان يكونوا المنتخبين لدروسهم اذ هم لا يزالون بعيدين جداً عن النضج وفي غاية الغباوة فلا يقوون على اتيان عمل كهذا .

يعتقد بعضهم ان فن التهذيب يتغير بسرعة الى درجة يتعذر عليك معها ان تنشئ منهاجاً مقدماً . ويرتاي غيرهم ان النظام الرسمالي ، كما يعلم في المدارس ، قد أخفق وانه يجب ان نستخدم المدارس والمنهاج لخلق نظام اجتماعي جديد — اشتراكي او شيوعي — . ومعنى هذا انه علينا ان نعلم تلامذتنا و نربي فيهم مبادىء العلم مهما اسأنا الظن بطريقة العمل. ولكن هل من الانصاف ان نحول اذهان التلامذة الى نوع خاص من التفكير ونستفيد من عدم نضجهم قبل ان يكونوا قادرين على الادلاء بحججهم معنا . اننا لا نرى في انفسنا الكفاية والحكمة للقيام بهذا الامر في ضبط واحكام . على انه اذا كان في مقدورنا ان نقنع الوالدين ان الشي الذي أحاول اصطناعه من اجل اولادهم هو عين الصواب والحكمة مضينا في ذلك بعد احراز مصادقتهم . واذا اردنا خلق نظام اجتماعي جديد بواسطة منهاج دراسي جديد كان لزاماً علينا ان نقنع الوالدين والبالغين .

ونحن ، كآباء نود كلنا ان يكون أولادنا اصحاء لانهم عندما يمرضون

تقلق من جراء ذلك شديد القلق . ولذا كانت الصحة تأتي بالدرجة الاولى عند الوالدين . ومع ذلك فالعناية بالصحة قليلة جدا في مدارسنا . ذلك لان الالعاب التي يلعبها اولادنا لا يحلها اولو الامر المحل الذي هي به جديرة في المنهاج المدرسي ، وما يجري احياناً من مراقبة طبية للابدان والاسنان يقع في فترات متقطعة و يتم على سبيل العادة . والامر الذي يجب ان يكون في اولادنا هو الجودة أو الصلاح، على اننا لا نريد لهم ان يكونوا بسطاء (على نياتهم) . نريد لهم ان ينشأوا نشأة المواطن المستقيم الذي فيه اللياقة والاستعداد للعمل بما يقول ولسدالدين والعيش مع الغير في حب وتعاون . ان روح المسابقة هو الذي يتربى في معظم مدارسنا لا روح التعارف ، وقد بلغ ذلك درجة صار معها النجاح يقاس غالباً بالرصيد الذي للمرء في المصرف وبنوع السيارة التي يركبها . اليس صحيحاً ان الانسان اذا كسب المليون وعاش في قصر منيف عد ناجحاً وبعيداً عن ارتكاب الخطأ . اما باقي موضوعات المنهاج لاولادنا فلسنا على يقين من جهته ، ولكننا نحب ان لا يحيد المعلمون قيد شعرة عن الحقائق الخالدة والامور التي لا يتحكم فيها الزمان والمكان والجنس واللون والقومية .

اننا نريد منهم ان يضربوا بسهم وافر من الحصافة والاتقان في اللغة القومية لان التخاطب مع الغير هو من الحقائق الخالدة . نريد منهم الاخلاص للعائلة وللمدرسة وللمدينة، بل قل للانسانية جمعاء عندما يبلغون أشدهم . لانه ليس في مقدور المرء ان يكون مواطنا امينا لبلاده ما لم يكن امينا لمدينته او بلدته . وليس في استطاعته ان يكون محباً للانسانية جمعاء ان لم يكن محباً لبلاده . ونريد منهم امراً وهو ان يكون في وسعهم تمحيص البينة أو وزنها وان يعرفوا اذا كانت مبرهنا

عليها أم لا · ان هذه المقدرة لتنفع في جميع مسالك الحياة. نريد لاولادنا ان يرتاحوا الى فن من فنون العالم العظيمة او يوجدوا شيئاً منها ، مثل الادب والتصوير والنحت والموسيقى والتمثيل وهندسة البناء · نريد ان يروا وجهة نظر الآخرين وان كانوا لا يقرونهم عليها . ومن الامور الخطيرة مجانبة الانانية إذ هي من افظع نقائص مدنيتنا الجديدة. وآخر الكل نريد منهم ان يكونوا مخلصين لانفسهم ولو ادى ذلك الى تضحية عظيمة · انه لمن الهنات الهينات ان يسير المرء مع الجماهير وان يتبع الازياء. واسمحوا لي ان اقول في هذه المناسبة :-- ان هنالك فضلا في حركة المتطهرين واني افضل دون ريب ان أنضوي تحت لواء هذه الحركة على ان اسلك سلوكا شائنا او غير لائق . أعلم اني لم احل المسئلة التي بدأت فيها وهي «المعرفة الفضلى» على اني اذا كنت قد قمت باداء بضع نقاط نافعة للذين أخذوا النفس بانشاء المناهج الدراسية شعرت ان ما أدليت به من حجج وسقته من اقوال لم يذهب سدى .

المملكة اللاتينية في القدس

١٠٩٩ — ١١٨٧ م.

في ١٥ تموز سنة ١٠٩٩ دخل الصليبيون القدس وارتكبوا من الفظائع مع المسلمين واليهود ما هو مشهور . وأول شيء فكروا فيه هو انتخاب ملك. ولم يكن في الامراء الموجودين من هو اليق بهذا المنصب من غودفري Godfrey رئيس فرقة البولونيين الذي قام باقصى انواع الفظائع عند فتح المدينة . ولما وقع الانتخاب عليه رفض ان يلبس تاجاً ملكياً في بلد لبس فيه سيده المسيح تاجاً شوكياً واكتفى

بلقب «بارون وحامي القيامة» وتأسس البلاط الملكي على جبل صهيون · وحلت الكنيسة اللاتينية محل الكنيسة الارثوذكسية واستولت على كل المزارات المقدسة.

بعد انتخاب غودفري باسبوعين توجه الى عسقلان لمحاربة جيوش الفاطميين فانتصر عليهم ورجع يحمل سيف الخليفة وعلمه ليعلقهما امام القيامة وليأمر بصرف الحجاج الذين كانوا يستعدون للرجوع ولم يبق عنده الا ٣٠٠ فارس بقيادة طنكرد و٢٠٠٠ من المشاة.

عين البابا اسقف بيزا دامبرت Daimbert قاصدا رسوليا في هذه المملكة الجديدة ولم يتوان هذا عن ازعاج الملك لتأييدمطاليب البابا التي كان منها الاعتراف به سيداً على يافا والقدس وانهما سترجعان اليه اذا مات غودفري بدون عقب، وان يخصص له في كل منهما حي خاص في الحال. فاجاب غودفري عليها مضطراً

اصبح غودفري ملكا على جماعة من اللاتين فيهم كثيرون ممن كانوا مساوين له فاصبح من اللازم عليه ان يضع قانوناً يحملهم على احترامه والعمل بموجبه. لذلك امر بوضع الدستور. فاجتمع فريق من الحجاج اللاتين ونقلوا نظام اوربا الغربية النصرانية الاقطاعي وجعلوه دستوراً لهذه المملكة الناشئة. واطلق على بنوده « قواعد اورشليم » Assize of Jerusalem . وبعد ان تم اودع في كنيسة القيامة، وبقي معمولا به بنجاح في بلاد اجنبية عن منشأه مدة حياة هذه المملكة. وبعد زوالها تقلص ظله حتى انحصر في مملكةقبرص اللاتينية سنة ١٢٦٩ · وكان هذا الدستور يشتمل على :—

١ — علاقة التابع بالمتبوع :—

كانت بحسب النظام الاقطاعي الافرنسي تماماً ؛ اي ان سلطة النبيل اقوى

من سلطة الملك في اقطاعيته · وعلى التابع ان يكون على استعداد تام للاعمال الحربية كل ايام السنة وذلك لكثرة الاعداء المحيطين بالمملكة · وعلى الامير المتبوع ان يجهزهم بالمال والسلاح والخيول

٢ — نظام الحماية والفتح :—

كل امير فتح بلداً او احتل قلعة ونصب عليها علمه واقام فيها حاميته امتلكها وصار صاحبها ، فتسابق النبلاء للحصول على هذه المدن والقلاع . فظهرت المملكة اللاتينية قائمة على اعمال النبلاء الذين اصبح لهم مقام كبير · وصارت السيطرة لهم وليست للملك . وهم الذين يقرونه على ملكه عند انتخابه وهم الذين يحكمون بين المتنازعين على العرش

كذلك تقدم اهل « جنوا » لمساعدة بلدوين الاول Baldwin I في فتح ارسوف وقيسارية وعكا بعد ان وعدهم بثلث الغنائم وربع المدينة المفتوحة ، وان يتاجروا معها بدون رسوم . وتقدم البنادقة لمساعدة بلدوين الثاني في فتح صور لقاء الاعفاء من رسوم الاتجار في سائر انحاء المملكة اللاتينية ومنحهم ربع مدينة القدس وثلث صور فاصبحت لهم حكومة داخل المملكة لها قضاة ومديرون

٣ — نظام وراثة الملك :—

اذا مات الملك بدون عقب ذكر خلفته الانثى من سلالته بحق الارث . وان لم توجد الانثى فان الاقطاعيين ورؤساء الاكليروس ينتخبون ملكا يلزمه حلف اليمين على ان يحفظ الدستور ويلبسه البطريرك التاج ثم اصبح العرش ينتقل مع الارملة الى زوجها الجديد ولو كان لزوجها المتوفى اولاد · وقد يكون للمتوفى ابن او اخ يعز عليهما ذهاب التاج للغريب ، فينشب القتال الاهلي الذي كان

اشد وطأة على المملكة اللاتينية من حروب الاعداء المجاورين . وفي كثير من الاحوال كان بعضهم يلجأ للاستنجاد بالروم ، حتى وبالامراء المسلمين ، كاستنجاد ارملة بوهمند صاحب انطاكية بعماد الدين زنكي ، عندما منعها الامراء اللاتين تزويج ابنتها من امبراطور الروم.

٤ — التملك :—

يحصر حق تملك العقار بالمسيحيين دون غيرهم وكل من وضع يده منهم على منزل او ارض يحرثها سنة ويوماً تكون له ملكا شرعياً. وكذلك كل من غاب عن عقاراته سنة ويوماً تؤخذ منه ولا يكون له حق فيها[1]

٥ — المحاكم او الدواوين :—

(١) الديوان الاول اعضاؤه البارونات ورئيسه الملك وعمله النظر في المسائل المختلف عليها بين كبار النبلاء والعمال . وهو المحكم فيما اذا تنازع اثنان او اكثر على الملك.

(٢) الديوان الثاني اعضاؤه اعيان المدن الكبار ونواب المقاطعات ورئيسه قائمقام —Vis Count— القدس . وكل مدينة كانت تنتخب عضوها بصورة نيابية تمثيلية — طبعاً ليست تامة كاليوم — للثقة به ولما عرف عنه من اصالة الرأي . ولو زرعت هذه النواة النيابية في تربة صالحة لانتجت ثمراً طيباً . وهو ينظر في دعاوي اصحاب الاملاك ، ويفصل في الخصومات التي تقع بين الافرنج ، ويراقب الدخل والخرج ، ويرتب التدابير والحقوق المدنية .

وكان في كل اقطاعية من اقطاعيات مملكة القدس اللاتينية مجلسان يشبهان

(١) الاخبار السنية في الحروب الصليبية : سيد علي الحريري

هذين الديوانين . الا ان هذه المجالس كانت مستقلة عنها

(٣) الديوان الثالث . وهو محكمة تنظر في دعاوي المسيحيين السوريين بحسب العرف والعادة في البلاد ، وكان قضاتها ممن ولدوا في البلاد وعرفوا لغتها وتقاليدها .

مات غودفري بعد تتويجه بثـــلاثمائة وستين يوماً . ولقد أحيا موته آمال الاسقف امبرت . لكن الشعب لم يرغب في ان يحكمه كاهن ، فقدم التاج الى بلدوين — اخي غودفري — امير أديسا وكان انشط جماعة في المملكة اللاتينية الفرسان واشهرهم :

(١) فرسان الهيكل Templars ويسميهم العرب « الداوية » نشأت هذه الفرقة لحماية الحجاج في طريقهم الى القدس ، واعطاهم بلدوين الثاني قطعة ارض شرقي الهيكل واصبحت قبة الصخرة كنيسة لهم واضيف الى عملهم السابق الذكر حراسة الاماكن المقدسة .

(٢) فرسان مار يوحنا ويسميهم العرب « الاسبتارية » . في سنة ١١١٨ حول دير مار يوحنا — الدباغة — الى مستشفى تديره فرقة فرسان مار يوحنـا St. John واطلق عليهم اسم الاسبتارية Hospitalers كرسوا حياتهم لخدمة المرضى والعجزة من حجاج الصليبيين .

اجيز لافراد هاتين الفرقتين استعمال السلاح والتدرب عليه ، لانهم في محيط مملوء بالاعداء فاصبحوا من اشد الفرق في الحرب ، وابتعدوا عما كرسوا حياتهم له. وازدادت قوتهم بالاعفاء من الضرائب ومنح الامتيازات من ملك القدس ومن البابا . ولم يكن في مقدور الـكنيسة ان تعلن على اي فرد منهم الحرمان الذي

كان سلاحها في القرون الوسطى ، تشهره على كل خارج او عاص . ثم نالوا حق حماية كل لاجئ اليهم فار من يد العدالة، فاصبحت المملكة والكنيسة والبارونات تكرههم . ثم قام النزاع بين الفرقتين واشتد التنافس بينهما ، لاغراض ومنافع مختلفة .

المملكة اللاتينية وعلاقتها بالامارات اللاتينية :—

في زمن بلدوين الثالث بلغت مملكة القدس قمة مجدها فكانت تمتد من العريش وخليج العقبة جنوباً الى شمالي بيروت شمالا ، حيث تلتقي بالامارات اللاتينية التي كانت تمتد الى خليج اسكندرونة ، ولم يبق للمسلمين في بلاد الشام الا حلب ودمشق وما بينهما . واستولت على طرق القوافل التجارية في البادية . وكانت هذه المملكة الاجنبية تتألف من عدة اقطاعيات كاقطاعية بارون بيروت ودوق صور وصاحب الكرك مثلا . الا ان ملك القدس كان الرئيس الأعلى ، يرجع اليه في المهمات السياسية وتصريف الشؤون الجسام . وله امرة مطاعة على سائر الولايات والعمال ؛ اذ كانت سلطتهم مستندة اليه ، مستقاة منه[(١)] .

كانت هذه المملكة تعتمد في حفظ كيانها على ما يأتيها من المدد من اوربا ، من جند ومال ، يسوقهما الحمس الديني ، وعلى جيشها الثابت الذي كان عدده يقرب من ٢٥ الفاً من جميع الاجناس والمذاهب حتى كان فيهم بعض الارمن والمسلمين . وعلى القلاع التي انتشرت في طول البلاد وعرضها ، مع انها كانت تقوي في اصحابها روح التمرد . وعلى ماليتها الخاصة التي كانت تأتي من ضريبة القوافل ومكوس السفن ومن ارباح الاحتكارات التجارية ومن الجزية التي يدفعها الرعايا المسلمون واليهود ، ومن إتاوة كان يدفعها بعض الامراء المسلمين .

(١) اسماعيل حقي بك : لبنان ص ٢٦١

كان بوهمند Bohemond النورماندي ، صاحب انطاكية اقوى من ملك القدس . لـكن اهمية القدس الدينية ورغبة التجار الايطاليين في سواحل فلسطين اكثر من رغبتهم في سواحل سورية ووقوع انطاكية بين اعداء الداء ؛ البيزنطيون في الشمال ، والمسلمون في الشرق ، وصاحب طرابلس — الذي كان حليفاً للبيزنطيين — في الجنوب ، كل ذلك ساعد مملكة القدس على ان تسود الامارات اللاتينية الثلاث وهي :—

١— أديسا : اسس بلدوين امارة اديسا (الرها — اورفا) سنة ١٠٩٨ . ولما اصبح ملك القدس صارت مملكته تابعة لمملكة القدس الى ان فتحها عماد الدين زنكي سنة ١١٤٤ م

٢ — طرابلس : اسس ريموند Raymond كونتية طرابلس ، وتم الاستيلاء على قاعدتها — مدينة طرابلس — بمساعدة مملكة القدس سنة ١١٠٩م فاصبحت تخضع لها .

٣ — انطاكية : كانت امارة انطاكية مشغولة في زمن بلدوين الاول بالقتال مع اوديسا وطرابلس اللاتينيتين، والموصل وماردين الاسلاميتين ، ولـكنها منذ سنة ١١٣٠ م يمكن اعتبارها تابعة لمملـكة القدس .

اما علاقة ملك القدس بهذه الامارات الثلاث فهي :—

(١) يصلح بين الامير واهل امارته او بين اميرين مختلفين

(٢) له ان يستولي على الامارة التي يموت صاحبها دون وارث ، حتى يتم انتخاب امير جديد

(٣) ليس له ان يمنعها من ان تعقد معاهداتها مع الوطنيين وغيرهم ، وكل

منها حرة في ان تحارب من تشاء، وان تصالح من تشاء دون استشارة ملك القدس

(٤) كل منها مستقلة في اعمالها وشرائعها الخاصة

(٥) على ان تقدم له الجند للحرب اذا شاءت منة وكرماً ، لا واجباً ولا حقاً .

فالارتباط كان بسيطاً جداً[1]

علاقة المملكة اللاتينية بجيرانها :—

١ — في زمن بلدوين الثاني نشب العداء بين الحجاج اللاتين وبين الامبراطور البيزنطي الكسيوس Alexios فاجتاحوا مملكته ، لانه كان من اغراض الحروب الصليبية القضاء على الارثوذكسية وتوحيد العقيدة المسيحية

٢ — طلب بلدوين الثالث من امراء انطاكية واديسا اللاتين ان يساعدوه على عماد الدين زنكي صاحب حلب ، وكان ذلك حافزاً لزنكي على التقدم نحو اديسا وبعد حصارها ١٨ يوماً دك اسوارها سنة ١١٤٤م . وسقوط هذه الامارة كان السبب المباشر في اثارة الحملة الصليبية الثانية التي اثارها القديس برنارد بان الهب حماس اوربا الغربية النصرانية ، فترأس الحملة لويس السابع ملك فرنسا وكنراد الثالث امبراطور المانيا ومعهما كثير من الامراء والابطال . وعند مرور لويس ببيزنطية اكرمه الامبراطور منويل ورحب به . ثم شاعت اشاعة مؤداها ان الامبراطور على اتصال بالاعداء . وكانت هذه الاشاعة لان تحط من مقامه في اعين شعبه من جهة ولأن تثبط العزائم من جهة اخرى

وعندما وصلت الحملة الثانية بلاد الشام تقدمت لفتح دمشق ، وكان يرافقها

(1) Stephenson, The Crusades in the East.

فرسان الداوية والاسبتارية . وعند اقتراب تسليم المدينة عقد الملك والامبراطور اجتماعا للبحث فيمن يجب ان تعطى له المدينة بعد فتحها ؟ وعندما تقرر اعطاؤها لكونت فلاندرز Flanders غضب بارونات فلسطين وقبلوا الرشوة من الدماشقة واقنعوا المحاصرين — بصفتهم خبراء في البلاد — ان المدينة لا يمكن فتحها من الجهة التي يحاصرونها منها ، وعليهم ان ينتقلوا الى جهة اخرى . وبهذه الخيانة خسر الصليبيون موقعتهم في المروج المخصبة التي كانت تمدهم بالمؤن واصبحوا في ارض قاحلة

وكان نور الدين بن عماد الدين قد تقدم لانقاذ البلد فرجع عنها الصليبيون سنة ١١٤٨م وتبعهم التركمان الى جبل الزيتون في القدس ولم يلبث كونراد ان عاد الى اوربا وتبعه لويس بعد سنة ، وبذلك فشلت الحملة الثانية .

لم يبق في اوربا الا رجل واحد لكل سبع نساء ، وهؤلاء الرجال — رجال الحملة الثانية — لم يتمكنوا من مشاهدة بلادهم مرة اخرى ، لانهم ماتوا شهداء ويحمل وزر ذلك برنارد والحجاج اللاتين المضطربة امورهم[1]

٣ — في زمن المريك Almeric — الذي يسميه العرب اموري — اشتبكت مصالح المملكة اللاتينية مع مصالح مصر الفاطمية فانضم اللاتين الى الفاطميين ليحاربوا نور الدين سلطان حلب . وكانت للاتين مطامع اقتصادية في مصر . لكن اموري مد يده ليأخذ الاموال من وزيري مصر — ضرغام وشاور — على التعاقب ، لقاء الاستمرار في استخدام فرسان الصليب في نصرة فريق من المسلمين على آخر وفي هذه الاثناء اسرع نور الدين زنكي في الهجوم على انطاكية ليجزئ قوى الصليبيين

(1) Cox : The Crusades P. 93

٤ — تزوج اموري بقريبة امبراطور بيزنطية الذي وعده بامداد الصليبيين باسطوله ، فتقدم اموري سراً ليفتح مصر بمساعدة اسطول الروم وفرسان الاسبتارية — اما الداوية فقد رفضوا تقديم هذه المساعدة — واحتل الفرما من القطر المصري واجرى فيها انواع الفظائع والمنكرات. وقد حمل ذلك العاضد الخليفة الفاطمي على ان يستغيث سراً بنور الدين

ارسل نور الدين القائدين شيركوه وابن اخيه صلاح الدين اللذين كتب لهما النصر ، بعد ان خفقت اعلام اموري على الاسكندرية واصبح شيركوه وزير مصر . وبعد شهرين توفي شيركوه فخلفه صلاح الدين ، ولقد اخطأ الخليفة الفاطمي باختيارهذا الشاب الطموح لانه اذاقه ما اذاق بين Pepin آخر ملوك الميروفنجيين. واصبحت املاك نور الدين تحيط بالصليبيين من الجنوب والشرق والشمال . وفي هذا الوقت دخل الفريقان في دور المعاهدات والاستعداد للحرب

سقوط المملكة اللاتينية :—

بعد ان مات نور الدين بقليل اصبح صلاح الدين سيداً على مصر والشام ، فاتخذ من حماقة ريغونلدر الذي يسميه العرب « ارناط » صاحب الكرك ، والتعدي على قوافل المسلمين الداخلين في المعاهدة ، سبباً لتجهيز حملة حربية مؤلفة من خمسين الف فارس وعدد لا يحصى من المشاة وهاجم طبرية والتقى بجموع اللاتين في « حطين » يوم الجمعة الثالث من تموز سنة ١١٨٧م ، وبعد منازلات شديدة لم يتحملها الصليبيون ولشدة الحر والعطش والدخان المتصاعد من الاخشاب التي امر السلطان بحرقها ، لم يقووا على الثبات ، فانكسروا واسر ملك القدس غاي دي لوزينان Guy de Lusignan واخوه ارناط صاحب الكرك ومقدم

الداوية واستولى المسلمون على صليب الصلبوب (الصليب الحقيقي) ثم بر السلطان بوعده فقتل ارناط وأحسن معاملة الباقين

وتعتبر موقعـــة حطين بدء هزائم الفرنج ، اذ تبعها رجوع بيروت وعكا وقيسارية ويافا لاصحابها الاصليين . ثم سلمت لهم عسقلان ، ولم تبق الا صور لصاحبها كونراد منفرات Conrad of Monferrat ثم صمم صلاح الدين على محو المملـكة اللاتينية ، فتقدم لحصار القدس ، وارسل يخبر اهلها انه لا يريد تدنيس مدينة مقدسة عند المسلمين والنصارى على السواء ، وانه سوف لا يتعرض لارواحهم واموالهم بسوء وانه يسمح بتسفيرهم الى اي بلد يريدون ، اذا هم سلموا البلد صلحاً

قوبلت هذه الشروط بالرفض ، وعزم المحصورون على الدفاع حتى النفس الاخير ثم حدث ما غير الموقف ، من ذلك ان زينة الهيا كل التي صكت نقوداً فرغت ، وسمعوا باتصال ملك الروم بالسلطان وعلموا ان السور من جهة باب القديس اسطفانوس ـ باب ستنا مريم ـ اصبح لا يقوى على الدفاع . وشاهدوا وتيقنوا استماتة المجاهدين المسلمين . عندئذ رأوا ضرورة التسليم على الشروط الاولى . فرضي بذلك السلطان ، لان المحصورين تهددوه بهـــدم الحرم وذبح المسلمين الموجودين معهم في المدينة ، وكان عددهم يبلغ خمسة الاف ، ان هو لم يرض بذلك.

عقد الصلح ودخل صلاح الدين القدس في ٢ تشرين الاول سنة ١١٨٧ م واعاد الاماكن الاسلامية المقدسة سيرتها الاولى وسمح للسكان اللاتين بالذهاب الى صور على شرط ان يدفع الرجل عشرة دنانير والمرأة خمسة والولد دينارين ،

لا ليملأ جيو به ، بل ليرضي جنده الذين طلب منهم ان لا يمدوا ايديهم للسلب والمصادرة . ومن لم يدفع يبقى عبداً . لكن عفوه شمل الكثيرين من الفقراء ولم يبق من مئة الف لاتيني سوى ما يقرب من اثني عشر الفاً . اما الروم والوطنيون النصارى واليهود فبقوا في المدينة

يقول كوكس ص ١٠٦ : « لقد لاقى اللاتين من رحمة صلاح الدين ولطفه وانعاماته فوق المطلوب . ومن المؤكد ان مثل هذه المعاهدة لو عقدت في زمن بطرس الناسك وغودفري ، لخرقت ساعة النصر ولصب الويل على المغلوب ».

ثم عفا السلطان عن الملك غاي اجابة لتوسلات زوجته الملكة سيبلا Sibylla وكذلك اطلق سراح مقدم الداوية ، تلك الفرقة التي كانت اشد القوم حرباً عليه . وقد جمعت الصلبان والآثار والآنية المقدسة في اربعة صناديق لترسل الى « المستهدي » خليفة بغداد العباسي ، علامة النصر . لكن السلطان سلمها للبطريرك اجابة للتوسلات الكثيرة ، بعد ان دفع ثمنها ملك الانكليز .

ثم فتح السلطان انطاكية فلم يبق للصليبيين في كل البلاد الشامية سوى صور وطرابلس

اسباب سقوط المملكة اللاتينية :—

(١) فساد شكل الحكومة :

ان النظام الاقطاعي الذي لم يفد في اوربا لم يقدر له النجاح في تكوين مملكة صغيرة في الشرق ، لانه لم يضمن طاعة التابع لسيده ، والسيد لملكه ؛ فلم يكن للحكومة المركزية من السلطة ما هي بحاجة اليها في وسط مملوء بالاعداء كذلك نظام وراثة الملك الذي سبقت الاشارة الى فساده ، وما كان ينتج عنه .

وهنالك الـكنيسة واصحاب الامتيازات الذين كانت لهم حكومات خاصة داخل هذه الحـكومة . فـكانوا سوسة تنخر عظامها

(٢) ارتباك المالية :

نزعت الاملاك من مالـكيها القدماء واعطيت الى المحاربين الغرباء فلم يعرفوا طرق استثمارها . وفرض على كل مزارع منهم ان يدفع ربع او ثلث الحاصل فضلا عن الجزية وضريبة العمل للسادة . كل ذلك أدى الى تأخر الزراعة ؛ فجف معين اهم مصادر مالية الدولة ولم تكن هنالك قوانين خاصة في توزيع الضرائب على الشعب وجمعها منه . وكثيراً ما كان اصحاب القلاع الاقطاعيين يعصون عن الدفاع . وكانت الـكنيسة تجمع ما تصل اليه يدها من الاموال فتضخمت ثروتها ، ولـكنها لم تمد المملكة بشيء

(٣) تدهور اخلاق الصليبيين :—

لم يترفع الملوك عن اخذ الرشوة او قبض الاجرة ، كما فعل اموري بمصر ، وكما فعل هو نفسه عندما حاصر بانياس التي كانت تملـكها ارملة نور الدين . وكذلك فعل البارونات عند حصار دمشق . ولم يكونوا يحترمون العهود والمواثيق التي يبرمونها مع الامراء الوطنيين ، لانهم عدوا ذلك مع الـكفار من حسن الايمان . كما فعل ارناط في القوافل التي كانت تمر من اراضي الـكرك. وقداعطى بلدوين الثالث للمسلمين حق الرعي حول بانياس ، وعندما امتلأ المرعى بالمواشي تقدمت فرقة المسيحية فذبحت الرعاة وشتتوا القطعان. وكان بين المحاربين كثيرمن الخطاة والاراذل من الرجال والنساء دنسوا الغاية التي جاءوا من اجلها

(٤) عدم التئام الفئات الصليبية :—

فالامراء منهم كانت غايتهم الاستيلاء على الاقطاعيات ، والرهبان غايتهم جعل الحكومة اكليركية ؛ فنشب الخلاف بينهم و بين الامراء ، و بذلك كانت الكنيسة من عوامل الهدم الفعالة . والفرق الدينية المحاربة بسبب ما نالته من قوة سبقت الاشارة اليها اشتبكت في نزاع متواصل مع الكنيسة والامراء والملك . والتجار اعماهم الطمع المالي فمالوا الى محالفة الوطنيين ، ابتغاء الكسب ، واهملوا الحرب والدفاع . واصحاب القلاع كانوا يعملون على هواهم . والحجاج الاولون عندما فتحوا القدس ظنوا انهم قاموا بواجبهم وقفلوا راجعين الى بلادهم ، فلم يبق الا بعض الفرسان والجنود الاخلاط الذين لم تفدهم المناوشات والغزوات شيئاً من وجهة التدرب والنظام العسكريين

(٥) ابطال الاسلام :

قيض لهذه البلاد ثلاثة من الامراء ليخلصوها من اعظم الاخطار المفنية ، وهم عماد الدين ونور الدين وصلاح الدين . وان ما امتاز به الاخير من علو الاخلاق ومكارم الصفات جعل اهل البلاد يفتحون له اسوار بلادهم بكل ترحاب وان معاملته للمغلوبين سرت في اوربا حتى عده البعض من ابطالهم الصليبيين . فخمد الحماس الديني واصبحنا نرى حروباً سياسية تثيرها الملوك وليس الرهبان بعد الحملة الثالثة . « وانكسار الافرنج في حطين اظهر ان المخلص » غفل عنهم لانهم ضلوا الطريق التي رسمها لهم [١]

محمود سليمان العابدي

(1) Stephenson

الاولاد الاغبياء والاجرام

اعلن وزير الداخلية في انكلترا السر صموئيل هور انه يدرس الان مع مستشاريه مشروع بحث علمي للاجرام التي يرتكبها صغار الابناء والبنات غير الراشدين . وذلك عند حضوره حفلة افتتاح (دار التوقيف) الخاصة بصغار المجرمين والتي كلفت عشرة الاف جنيه ونيفاً في مدينة هال من اعمال انكلترا .

وقد اشار ايضاً الى تحقيق اخر تقوم به الان نظارة الداخلية ومجلس المعارف وذلك للحصول على معلومات اضافية عن الاولاد (الاغبياء) او (المتأخرين) فيقابل بين النسبة المئوية للاولاد الذين يحالون الى محاكم الاطفال والذين يقعون ضمن هذه الطبقة وبين النسبة منهم في المدارس الابتدائية

ودار التوقيف هذه في مدينة (هال) هي الاولى من نوعها في انكلترا وقد صرح رئيس بلدية هال بان نظارة الداخلية قد تبرعت بنصف نفقات البناءوقامت البلدية بالنصف الاخر

وقد قال السر صموئيل هور ان البناء الجديد نصت عليه قوانين الاطفال لسنة ٣٣ . وكانت اللائحة القانونية الاولى لسنة ١٩٠٨ تطلب ان تجهز امكنة للتوقيف يرسل اليها صغار الاولاد الذين تطلب المحاكم توقيفهم وحجزهم . وكانت الغاية من ذلك اجتناب ارسال امثال هؤلاء الى السجون العادية . وكانت دور التوقيف هذه اماكن يحجز فيها الاولاد وكان الغرض الاول منها ان تكون مراكز لدرس الاطفال ومراقبتهم وتقديم تقارير تساعد المحاكم على تقرير افضل الطرق لاتباعها معهم مما يؤول لمصلحة الاولاد . فهذه الدار التي يفتتحها الوزير

الان هي (الدار الاولى) التي خصصت كما رغب البرلمان ، ولهذا فهو يهنئ لجنة المعارف في هال التي كانت السباقة في هذا المضمار ويرجو ان تسير على منوالها باقي مدن انكلترا

وقد كانت دور التوقيف التي تأسست بموجب (قانون الاطفال) السابق الذكر ، تهتم بالاولاد ممن هم دون السابعة عشرة من العمر . وكان هناك شعور عام بلزوم تأسيس مؤسسات تهتم بمن هم بين السابعة عشرة ودون الحادية والعشرين من العمر ، فيوضعون تحت رقابة فيها ويرضخون لفحوص بسيكولوجية وطبية ، دون ان يتعرضوا الى الاخطار الملازمة لمن يحبسون في سجن . وقد كان هناك قضايا كثيرة لمن هم بين السابعة عشرة والحادية والعشرين تتردد في امرها المحاكم ، دون ان تحجزهم مدة ، ومثل هؤلاء ليس لهم مأوى في الوقت الحاضر غير السجن . ولهذا فان من اشد الامور لزوماً في الاصلاح من هذه الناحية تأسيس مراكز مراقبة لمثل هؤلاء المجرمين ، وهو يأمل ان تعم البلاد ، امثال هذه المراكز المجهزة باحسن الاثاث واقدر المعلمين .

تجارب في الاساليب

لقد اتجهت الانظار في السنوات الاخيرة للقيام بتجارب لمعرفة افضل الاساليب في معالجة صغار المجرمين ، ذلك لان الاولاد والبنات اصلح للتدريب من الشبان والشابات ، ومن جهة اخرى فان الناس اصبحوا يقدرون اهمية ايجاد العلاج المناسب وتطبيقه على ولد صغير يظهر للمرة الاولى امام حاكم . ان من غير المناسب ان نحاول استنتاج ادلة ايجابية من دراسة الجداول المجردة ، ولكن جداول الاجرام في السنوات الست الاخيرة دلت على حصول نتائج جيدة ، من جراء

معاملة المحاكم لصغار المجرمين .

ولم يشأ الوزير ان يفهم من كلامه ان هناك ما يبعث على الارتياح من هذه الجهة . فان من ابرز المظاهر في جداولنا الاجرامية ازدياد عدد صغار المجرمين ازدياداً مضطرداً في السنوات الاخيرة ، في حين ظل عدد المجرمين الكبار ثابتاً . ومن المظاهر البارزة لهذه الارقام الزيادة الكبرى التي حصلت سنة ٣٤ — ٣٥ ولا شك ان هذه الزيادة نتجت بالاكثر عن قانون الاطفال لسنة ١٩٣٣ من جهة ، ولازدياد الرغبة والاهتمام في اجرام الصغار وما اثارته هذه القوانين من الاهتمام في جميع الهيئات

وكانت ارقام سنة ١٩٣٦ اكثر تشجيعاً ، ودلت على ان الميل لازدياد الاجرام قد اوقف . فقد دلت الارقام فيما يتعلق بالاولاد دون الرابعة عشرة ، ان الزيادة في سنة ٣٦ كانت ٤٥٠ ، في حين انها كانت ٢٠٠٠ في السنتين اللتين مضتا . واما الذين بين ١٤ و١٦ من العمر فقد نقص العدد ١٠٠

ولهذا اصبحت مسئلة الاجرام عند الاحداث موضوعاً للبحث والتحقيق . ولقد اشار الوزير الى لزوم الاستفادة من جميع الاساليب العلمية وتطبيقها ، وان تدرس هذه ولا يكتفى بالارقام ، بل بالحالات والظروف التي احاطت بهذه الاجرام ، وهو يعمل الان مع مستشاريه لوضع تحقيق علمي لاجرام الاحداث ، وهو يأمل بهذه الطريقة ان يحصل على معلومات جديدة عن الوقائع المختلفة ، وعن صلاحية هذه الاساليب لمعالجة اجرام الصغار ، وعما اذا كان هناك ما يدعو الى ادخال اصلاحات جديدة

ومن الخطأ ان نعتبر ان مشكلة اجرام الصغار تنتهي باستعمال الاساليب

التأديبية والقصاص . ومن رأيه ان تعتبر مدارس احداث المجرمين جزءاً من نظام التعليم لا من نظام المحاكم التأديبية . وعليه فيجب ان تشرف على هذه المدارس نظارتا الداخلية والمعارف وان تقوما بتحقيق القصد منه الحصول على معلومات وافية عن الاطفال « البلداء » و (المتأخرين) ، او بعبارة اخرى الاطفال الذين يقع خارج ذكائهم بين ٨٥ و ٧٠ في المئة

لا توجد احصاءات تامة جاهزة الان ولكن ذوي الخبرة يقدرون نسبة هؤلاء الطلاب المئوية الى من هم في المدارس الاعتيادية كنسبة ١٠ الى ١٥ في المئة . وكذلك ليس هناك جداول تبين النسبة المئوية للاطفال الذين يحالون الى محاكم الاطفال من بين هؤلاء . ولكن هناك قرائن تدل على ان النسبة المئوية للاطفال « الاغبياء » الذين يحالون الى محاكم الاطفال قد تكون أعلى من النسبة المئوية لهؤلاء في الطلاب الاعتياديين . وهم يقومون الان باحصاء لتقرير هذه المسئلة . فاذا دلت هذه الابحاث على ان عدداً كبيراً من هؤلاء « الاغبياء » يقعون في مشاكل اجرامية ، دعا هذا الى زيادة الاهتمام بتعليم هؤلاء الاغبياء والى معالجتهم معالجة فعالة في المدارس

تاثير المعلم على سلامة عقل الطالب (١)

قبل ثلاثين سنة لم يكن موضوع سلامة العقل مطروقاً ولكن المعلمين اليوم وفي كل مكان يتكلمون فيه ، والكتب المدرسية مشحونة به ؛ زد على ذلك ان العدد الثاني من المجلة الدولية الجديدة «فهم الطفل» كله عن سلامة عقل المعلم. فلم كل هذا التغيير ومن اين جاء ؟

سبب هذا ان حدث تغيير عظيم في وجهة نظر علم النفس. فبعد ان صار علم النفس علماً اخذ اربابه يجزئون الحياة العقلية الى عناصرها وهي الشعور ويعدون الذاكرة والخيال والادراك والتصور كمجاميع لهذه العناصر. فكان عملهم هذا اقرب شيء الى تقسيم المواد الى ذراتها. ثم ظهر في علماء النفس مثل هذا الميل الى تقسيم التعليم الى روابط المؤثر والجواب فعدوا التربية بعدد هذه الروابط . وحتى السلوكيون (اصحاب مذهب في علم النفس يبنونه على درس السلوك) كادوا يعتقدون ان السلوك يتألف من سلسلة اعمال منعكسة.

واما في خلال السنوات الاخيرة فقد ظهرت وجهة نظر في علم النفس جديدة نبذت حسبان المجموع كمجرد اجزاء واعتبرت علاقة هذه الاجزاء بعضها ببعض فنتج عن ذلك الرأي القائل ان الطفل «كله» يأتي الى المدرسة لادماغه فقط . فالطفل كله يجيب عاطفيا وعقليا وجسديا واجتماعيا الى مجموع موقف المدرسة. فاذا علمته جدول الضرب مثلا اجاب الى عدة مؤثرات: اجاب الى صلاح المعلم وفساده الشعوري والى علاقته به وبسائر الطلاب والى علاقته بامثال الطلبة والى غرفة

(١) مترجمة عن مجلة The School عدد تشرين الثاني ١٩٣٧

التدريس والى المدرسة نفسها . ونتج من وجهة النظر هذه ايضاً ان المعلم «كله» يعلم بعد ان كان المهم معرفته فقط ومن ثم كان لسلامة عقل المعلم الشأن الكبير .

ورافقت هذه الوجهة النفسية فلسفة جديدة في التربية حلت محل النظرية التربوية التي غايتها تحصيل المواد الدراسية فصار هدف التربية الآن انماء شخصية التلاميذ اي انماء ميولهم الاجتماعية والعاطفية والعقلية حتى يصبحوا اعضاء كاملين صالحين للهيئة الاجتماعية .

وللمعلم طريقان لانماء سلامة عقل طلابه : الاولى تأثير شخصية المعلم ومزاياه ومشاكله وعلاقاته وهذا يحصل عن غير شعور ؛ والثانية تأثير معرفته ومهارته وهذا يحصل عن خطة مرسومة .

فا كبر تأثير في المدرسة على سلامة عقل الطلاب سلامة عقل المعلم نفسه. فمتى يكون المعلم سليم العقل ، وبأي المقاييس يقاس ؟

(١) المعلم السليم العقل له فلسفة في الحياة مرضية، يجابه حقائق الحياة بلا مراوغة ولا اشتراط. وجدير بالمعلمة خاصة ان يكون لها مثل هذه الفلسفة بالحياة لان عليها ان تسعى لايجاد رغبة في الحياة سليمة تعوض عنها ما يجلبه الزواج والبيت والاولاد من سلوى واستقرار .

(٢) المعلم السليم العقل من عرف نفسه ومشاكله ووقف على مجموع عوامل نشأته وميوله. هذا المعلم يعالج سلوك طلابه بما لديه من خبرة ذاتية .

(٣) المعلم السليم العقل من لاءم الحياة الاجتماعية وكانت علاقته بوالدي الطلاب وبالمجلس المدرسي وبمجتمعه حسنة فلا يخشى والدي الطلاب ولا يضطرب عند زيارتهم المدرسة ؛ فهم شركاؤه في انماء شخصية طلابه، يود معاونتهم ، ثم

هو يختلط بمجتمعه ويتمتع بالحياة معهم ويكون عضوا عاملا بينهم .

(٤) المعلم السليم العقل من نضج واتزن فلا يتسرب الى عزمه الوهن ولا يتبرم والا أثر على سلامة عقل طلابه تأثيراً سيئاً .

(٥) المعلم السليم العقل من تلذذ بمهنته وبعمله اليومي. فمن كره التعليم ورغب عن عشرة الاولاد لا يمكنه ان يثير في نفوسهم الغيرة على عملهم المدرسي .

(٦) المعلم السليم العقل من جهز نفسه بعادات عاطفية واجتماعية وجسدية طيبة يتمثلها الطلاب

لننتقل الآن الى أثر المعلم الثاني الناتج عن معرفته ومهارته . لا شك ان فلسفة المعلم في التربية ذات اثر بليغ في سلامة عقل طلابه. فاذا عد المعلم عمله تعليم الطلاب المواد الدراسية واجتيازهم امتحانات معلومة، لا تنمية سلامة عقولهم أثر ذلك في عمله.

(١) فالمعلم الواضع نصب عينيه سلامة عقل الطالب يقلل من الاهتمام بحشو الدماغ وباجتياز الامتحانات ، ويصرف همه في مساعدة تلميذه يعلمه كيف يعيش ويقوده في نموه اجتماعيا ويزيد فيه اعتماده على نفسه ويقويه جسديا وعقليا

(٢) والمعلم الواضع نصب عينيه سلامة عقل الطالب يقلل من تسييره في منحى واحد محدود وينشئ فيه قوى الابتكار ويدربه على ايجاد مناح كثيرة للعمل . وهذا المعلم يدرك ان طلابه مختلفون ويعتبر الدروس المفروضة سبيلا لتنشيط قواهم لا غاية في نفسها ولا يسعى في ازالة الفروق الفردية بل يعدها عوامل يكيفها فتكون داعية الى حياة سعيدة .

(٣) والمعلم الواضع نصب عينيه سلامة عقل الطالب ينظر الى النظام المدرسي كوسيلة للعيش معا ينمي فيه ضبط نفسه وتوجيهها . ولا ينظر اليه كامر يجب

حله بل عامل هام في تربيته.

(٤) المعلم هذا لا يعد ما كان خارجاً عن الدروس المفروضة ضياعاً للوقت ونزولا على ضعف الطبيعة البشرية، ولا يبخل بوقته وبنشاطه على دروس غير مفروضة بل يؤمن ان كثيراً منها يجب ان تكون ضمن الدروس المفروضة ويعد هذين النوعين من الدروس لازمين لانماء قوى الطالب جسديا وعاطفيا واجتماعيا وعقليا فيساوي دروس التاريخ واللغة والعلوم بالاجتماع في غير غرفة الدرس وبتمثيل رواية مدرسية او بحفلة مدرسية .

(٥) المعلم هذا ينظر الى صعوبات طلابه نظرة الفاحص المدقق ويعرف ان عجزه عن الاملاء الجيد والقراءة الجيدة وخجله وتعديه على من هم دونه سنا وكذبه وسرقته ليست دليلا على شر فيه وانما لها اسبابها. وان عليه، ان كان ماهراً، ايجاد هذه الاسباب ووصف العلاج . هذا المعلم يدرس مشاكل طلابه ويتعرف على حياتهم المدرسية وعلى حالتهم الطبية ويقف على اختبارات ذكائهم وتحصيلهم وعلى تقارير امورهم البيتية وعلى غير ذلك مما يساعده على فهم طلابه.

(٦) وبما ان انماء حياة التلميذ العقلية يلعب دوراً كبيراً في انماء سلامة عقله لا يهمل هذا المعلم شأن المعارف كسبب للتكيف الاجتماعي ولا يهمل ايضاً التدريب المعين لانماء العادات العقلية العامة ويسعى بدروسه وبغيرها ان يرعى قوى طلابه فيعدهم للتفكير المنظم ولحل ما يجابهون من مشاكل يومية ولاحياء قوة التمييز فيهم بين قول وآخر وعمل آخر.

واخيراً عليه ان يدرك ان شهادة بدرجة شرف لاتؤهله لمجرد التعليم بل ان واجبه يتعدى معرفة مواد الدرس الى فهم الطالب ودراسته ما دام يعلم . فانماء سلامة العقل ليست بسهلة بل تتطلب كل ذكائه ومعرفته وتجعل التعليم لاذاً واصعب مهنة على وجه الارض .

تدريب المعلمين للمدارس العصرية[1]

الغاية الاساسية التي ننشدها في من يتعلم مهنة التعليم ان يقوم بقسط وافر من اعمال المعلم. وهي بلا شك غاية حسنة الا ان تطبيقها على مطالب المدرسة العصرية يحتاج الى شيء من البحث.

ان تدريب المعلمين لا ينحصر في معاهد التربية بل يتناول تدريبهم ايضاً وهم معلمون. ولا يبلغ المدير بمدرسته شوطاً بعيداً من النجاح اذا انقطع عن تدريب من لديه من المعلمين. ولهذا كان لمعهد التربية فضل وكان للمدرسة المحلية فضل اخر.

فان كان ذلك فلا بد من تغيير منهاج معاهد التربيـــة. فلا يكفي الطالب ان يتلقى فيها الطرق الاولية لتعليم الصغار وتحضير مذكرات الدروس والنظام والادارة وتقدير الدروس ومؤهلات المعلم الناجح والتمييز بين الكتب المدرسية، بل لا بد له من امور اخرى تجعله صالحاً لمجابهة عمله عندما يشرع فيه لان المدرسة العصرية تتطلب منه اكثر من مواد الدراسة. فما هي مطالبها يا ترى؟

التربية العصرية فن دقيق شامل واسع يتطلب معلماً قديراً له فلسفة تربوية شاملة معروفة ولكنها متطورة. نعم لا ننكر على معاهد التربية تعليمها نظرياً فلسفة التربية فيقف الطالب على آراء ديوه وهورن وكلبترك وبود Bode, Kilpatrick, Horne, Dewey. ولكن يجب على طالب

---

(١) ملخصة عن مجلة Educational Administration & Supervision عدد ايلول ١٩٣٧

التعليم ان يحتك بفلسفة عملية تمثل احسن الآراء التربوية . ثم ان المدارس التي يتدرب بها المعلمون والتي يعلم بها المعلمون يجب ان تكون نموذجا لاحسن الفلسفة التربوية العصرية اذا فرض على المعلمين اعتناق تلك الفلسفة .

والمدرسة العصرية ايضاً عامل رفيع الشأن في تحسين المجتمع الذي تعيش في وسطه ، فلا ينحصر تدريسها في غرفها وملاعبها بل يتعداه الى المجتمع نفسه . ومثل هذه المدرسة تحتاج الى معلم كفي مدرب على لوازم التعليم وعلى ان يكون عاملا نشيطاً في مجتمعه . فاذا كان المفروض في طالب التعليم ان يقوم بواجبه هذا عندما يباشر عمله ، كان من الواجب ايضاً ان يتدرب عليه وهو في معهد التربية حتى يألفه . وواجبات المعلم في مجتمعه كثيرة منها الاشتراك في جمعياتها والقيام بمشاريعها الحيوية وغيرها فلا مانع ان تعهدت دور التربية بهذا الاشتراك الفعلي .

والمدرسة العصرية ايضاً مدرسة اختبارات تقوم بها لتقف على احسن طرق التعليم . وهذا الباب جدير بالفات نظر طلاب التعليم اليه ثم تمرينهم على القيام به بانفسهم ؛ اذ كثير منهم من يميل ، بعد ان يصير معلماً ، الى ان يستعمل هذه الاختبارات ولكنه لا يعرف فيهملها على فائدتها . ولا ينطبق هذا القول على المدربين فقط بل على المعلمين انفسهم ايضاً ، فهم عاجزون عن استعماله . ولسد هذا النقص يجب ان يتعلم طلاب التعليم في معاهد تهتم بهذه الاختبارات فيساعدون اولا فيها ثم يقومون بانفسهم بها . فالامر ذو بال . ولا يمكننا ان نقف على افضل الطرق في التعليم الا بواسطتها

والمدرسة العصرية يجب ان تهتم اهتماماً عظيما في ما هو خارج عن مواد

الدراسة فتشرك طلابها باعمال كثيرة يتلذذون بها وفيها النفع . وطلاب التعليم في مثل هذه المدرسة يجب ان يشرفوا على هذه الاعمال ولذلك كان من اللازم ان تدخل معاهد التربية شيئاً منها في برامجها فيقوم طلاب التعليم بعملها ثم يسمح لهم بالاشراف على جماعات من الاطفال تعمل هذه الاعمال ليتسنى لهم ،عندما يصبحون معلمين ، اتقان عملهم هذا . ويسرنا ان نقول ان كثيراً من معاهد التربية تفعل هذا ولكن النفع يعم ان شمل الامر معاهد اكثر .

كلنا يعرف نوعاً من الناس له شخصية مهنية والمعلم من هذا النوع مرغوب فيه لان المعروف عن المعلمين انهم جماعة فاترة.وهذا صحيح الى حد كبير والمدرسة مسؤولة عنه . فنحن باحتياج الى معلمين يتدربون تدريجيا كما يتدرب طالب الطب اذ يدخل لاول مرة درسه خجلا متردداً فاتراً ويخرج بعد انهاء دراسته عكس ذلك . لقد ابدى البعض ان تدريباً كهذا يسبب غروراً مهنياً اكثر من شخصية مهنية . ومهما كان الامر فالنتيجة مرغوب فيها ونحن نحتاج الى الكثير منها. واما الوصول الى ذلك فامر شاق واحسن الطرق طبعاً ان يكون من يدرب المعلمين قدوة لهم.فالتقليد له حقه .

والمدرسة العصرية باشد الاحتياج الى معلم حسن الادارة. وفي الادارة مسؤولية عظمى . ولذا يستحسن ان يتدرب طلاب التعليم عليها بقطع النظر عما يدرسونه عنها في الكتب . فتسلم الى هذا المعلم مقاليد الامور الادارية الدنيا كسجل الحضور والرقابة على الالعاب الداخلية والخارجية والمكتبة وغيرها

ومن مطالب المدرسة العصرية ايضاً الاعتناء بالطلاب المتأخرين . فمع ان معظم الطلاب متساوون في مواهبهم يستفيدون من دروسهم المدرسية

الا ان ١١ ٪ منهم يختلفون عن هذا المجموع اختلافا يدعو الى عناية خاصة. وقد سعت المدارس لحل هذه المشكلة بطرق ثلاث : بتغيير سرعة التقدم وبتغيير الدروس نفسها وبتجهيز اولئك الطلاب بتعليم يختلف عن تعليم الاكثرية . واكثر ما يتبع الآن في المدارس الطريقة الثالثة الا ان هذا نادر جداً لاسباب. منها : ان الاهتمام به حديث العهد وان تدريب معلمين لهذا الغرض معدوم وان عمله يتطلب زيادة في النفقات . وعلى كل حال اذا رغبت المدرسة العصرية في حل هذه المعضلة فعلى معاهد التربية تدريب معلمين لها .

وفي الختام نرى ان ما سبق ذكره ليس بالمستحيل على كبره وصعوبته غير انه يتوقف على همم من يهمه تقدم التربية ومهنة التعليم .

البسيكولوجيا والمعلم[1]

حول كتاب « البسيكولوجيا في العصور المختلفة » للبروفسور سبرمن

لا يزال المعلمون يؤمنون بعلم البسيكولوجيا اوهم على اي حال مستعدون للايمان به اذا استطاعوا ان يفهموا ما يقوله هذا العلم. ولكن للبسيكولوجيا آراء عديدة ، متناقضة كل التناقض ، حتى ليحار السامع ايها يأخذ به.

ولقد كانت كتب البسيكولوجيا المطبقة على التعليم شائعة الاستعمال منذ اربعين عاماً . وكان الطلاب يدرسونها بجد في دور المعلمين ، وكانت تقرأ هذه الكتب باحترام، وكان المعلمون المشتغلون في المدارس يستفيدون

(١) نشر البروفسور بالاراد هذا المقال النفيس في ملحق التيمس التربيوي

منها . وكان اكثر هذه الكتب شيوعا كتب سلي و مورجان و جيمس[١] اما اليوم فان هذه الكتب قد فقدت مكانتها . واهملت ووضعت على الرفوف ولم يؤلف من نوعها ما يقوم مقامها حتى الان . فلماذا هذا يا ترى؟ هل اضعنا ثقتنا بالبسيكولوجيا كمصباح ينير لنا طريق المعلم ؟ الا نزال نعتقد بان هذا العلم هو الوسيلة الوحيدة التي تنجي صناعة التعليم من ان تصبح ميكانيكية آلية.

ليست المشكلة في تشعب هذا العلم الى فروع مختلفة فصار احدها يسمى البسيكولوجيا الفيزيولوجية ، والثاني البسيكولوجيا الاجتماعية ، والآخر البسيكولوجيا المقارنة الخ ، فان مثل هذا التقسيم تقسيم طبيعي مقبول لمجال البحث في هذا العلم ، ولكن دعاة علم البسيكولوجيا انفسهم قد انقسموا الى شيع واحزاب متنازعة متقاتلة . وكل حزب من هذه الاحزاب ، او طائفة منها تدعي حماية الايمان الحقيقي ، وتقول ان الباقين قد ضلوا سواء السبيل . فالسلوكيون منهم مثلا لا يتعاملون مع المتأملين ، وجماعة « الجستالت »[٢] الالمان لا يتهاودون مع التحليليين . فهم يتقاتلون على كل شيء حتى على عناصر البحث الواحد ، فيقول البعض ان هذه العناصر ثابتة مستقرة كذرات الكيمياء ، ويقول الاخرون بل هي عناصر فعالة منفجرة . ويقول غيرهم بل هي احداث لا اشياء محسوسة ، او طرق واساليب لا منتوجات او محاصيل وفي الواقع لم يعد امامنا علم بسيكولوجيا واحد ، بل علوم بسيكولوجية

---

(1) Sully's " Teacher's Hand-book of Psychology. Llyod Morgan's " Psychology for Teachers ", William James's " Talks to Teachers."

(2) Gestalt

متعددة ، ولم يعد علماً نقياً حراً ، بل اصبح خليطاً من الاقوال المتناقضة والمنفيات . فلا عجب اذن ان يترك المعلم هذا العلم وشأنه.

بل اذا رجعنا الى الماضي عندما كانت البسيكولوجيا لساناً واحداً ورأياً واحداً . وجدنا ان نفعها في المدارس لم يكن واضحاً كل الوضوح. فكم من المعلمين القدماء يستطيعون ان يقولوا بلا تردد انهم كانوا يسيرون بعملهم مستمدين الالهام الى درجة قصوى من تلك الكتب القديمة؟ والحقيقة ان البسيكولوجيا التي كنا ندرسها من تلك الكتب كانت مقتصرة على غرفة الصف ، فقد كانت وليدة الدرس ، وكانت ابحاثها معنوية غامضة غير عملية، بل كانت مجموعة من النظريات كالمطر تسقط على التعليم من الغيوم ، فكانت مطراً تبل الارض فلا ترويها وتزيد في خصبها وانتاجها .

٭٭٭

ولقد حدث تطور جديد في القرن العشرين ذلك ان البسيكولوجي بطل ان يكون عالماً نظرياً فحسب بل اصبح عاملا . فقد هجر كرسيه في الصف ، وخلع ثيابه ، وصار يشتغل في حقل المدارس . فاصبح الصف مختبره وعقول الطلاب مادة لبحثه . وصار يختبر في هذه البيئة فرضياته ، ويحورها على ضوء المشاهدة والتجربة ، وصار يرمي الى صوغ النظريات ذات الاساس العلمي الصحيح، والنفع التربيوي ولست اشير هنا الى تلك التجارب في التعليم ، على نفعها ، التي كان القصد منها التثبت من صحة احد اسلوبين في التعليم في موضوع خاص ، ولكنني اعني تلك الابحاث العلمية الدقيقة ذات المغزى الواسع العميق ، والتي كان القصد الاخير منها اكتشاف حقيقة طبيعة العقل الذي يسعى المعلم الى صقله وتنميته ، فهذه هي الاسئلة التي يسعى للاجابة عليها . مم يتألف تنظيم العقل الانساني او كيف يكون ؟ ما

هي قوى العقل ، وما وظائفه وما قدرته ؟ هل في الامكان تمرين وتدريب هذه الوظائف بالتساوي ؟ هل في العقل الانساني عامل مركزي يغذي وتستند اليه باقي العوامل ؟ اذا كان الامر كذلك فهل في امكانه تدريسها؟ لا نستطيع الاجابة على هذا السؤال قبل ان نكتشف وسائل لقياسه فما هي هذه الوسائل ؟ وما هي درجة الدقة التي نأمل الحصول عليها؟ واذا كان في الامكان اكتشاف نوع من التنظيم في الوظائف العقلية ، فهل نستطيع اكتشاف ذات النوع في الوظائف العاطفية والارادية ؟

هذه الاسئلة التي تبرز في غرفة الصف وتحل فيه لها اهمية اساسية تتعلق بالتعليم من الوجهتين النظرية والعملية ، كما تتعلق بعلم البسيكولوجيا العام في جميع نواحيه وتطبيقاته . فهذه الاسئلة كانت مجالا لابحاث علمية دقيقة حاول العلماء حلها في الثلاثين سنة الاخيرة . وقد كان السابق في هذا المضمار البروفسور Spearman الذي اصبح الدليل الهادي ، والحكم والشارح في هذا المضمار . فبالاضافة الى انه وضع نظرية محدودة عن طريقة تنظيم العقل الانساني اكتشف طريقة في التحليل الرياضي تقدر بواسطتها صحة نظريته .

☆☆☆

ولقد لاقت اراء البروفسور Spearman مقاومة عنيفة في الايام الاولى وكانت موضوعاً للنقاش والاعتراض . اما اليوم فان علماء البسيكولوجيا كمجموع قد قبلوا نظريته واساليبه الاحصائية . ولقد فاز البروفسور . وصار من الطبيعي ان ننظر اليه بانه بسيكولوجي المعلمين بلا جدال . ومع ان الذين سبقوه نشروا نظرياتهم البسيكولوجية قبله ثم خطر ببالهم ان يجربوها على التعليم . الا انه صهر نظرياته وكونها في مجال التعليم ، وبعد عمل عشرين

سنة ابتدأ يقدمها للجمهور . فنشر كتابه « طبيعة الذكاء ومبادىء الفهم »[1]
سنة ١٩٢٣ ونشر بعد ذلك كتاباً جديداً اسماه « قوى الانسان » وها هو
ينشر الان كتابه الثالث وهو اكبر كتبه وعنوانه «البسيكولوجيا في العصور
المختلفة[2] فهذا كتاب عظيم جامع فيه معرفة جمة وعنوان الكتاب يشير الى
الاسلوب اكثر من غرض الكتاب ، الذي رمى فيه الى ان يعيد الى علم
البسيكولوجيا مكانته الاولى ، وان يبين ان هناك مجموعة من الحقائق والمبادي
المنظمة تستحق ان يطلق عليها اسم علم ، وهي غير تلك النظريات والآراء
المتشعبة التي تحتكر كل فئة منها لنفسها اسم البسيكولوجيا كانها علامة مسجلة .
فالبروفسور سبرمن يستعمل الاسلوب التاريخي كوسيلة للحصول على تلك
الغاية ، اذ انه لا يمكننا ان نفسر ونقدر قيمة النظريات البسيكولوجية المختلفة
الا اذا اشرنا الى كيفية نقد النظريات العامة في العقل الانساني على توالي
العصور . فنستطيع حينئذ ان نضع كل واحدة منها في مكانها بالنسبة الى
التكوين العام للنظريات البسيكولوجية .

☆☆☆

ان قصة علم العقل تشابه قصة اي علم آخر من حيث ان منشأها الذوق
السليم الفطري المبني على صحة الحكم بالبداهة ، فهذا هو منشأ علمي الطبيعيات
والكيميا عند تفهم الطبيعة وتركيب المادة ، ولكنهما لم يقفا حيث
ابتدآ . وفي الحق انهما قد وصلا الان الذروة فاصبح الرجل العادي يعجز
عن فهم اصولها . وهكذا شان البسيكولوجيا الا ان التباين بين البسيكولوجيا

---

(1) The Nature of Intelligence & the Principles of Cognition.

(2) Psychology down the Ages

وسلامة الذوق وصحة الحكم ليست بعيدة كما هي الحال مع الطبيعيات والكيمياء. وفي الحق ان البروفسور سبرمن يثبت بجلاء انه اذا تضـــاربت النظرية البسيكولوجية مع سلامة الذوق وصحة الحكم فان تلك النظرية لا تلبث مع الوقت ان تتلاشى. فسلامة الذوق وصحة الحكم كانت تملي علينا منذ القدم اسس علم البسيكولوجيا العامة، ما عدا بحث اللاشعوري، وكل ما يستطيع البحث العلمي عمله هو زيادة التفاصيل وتصحيح بعض النقاط وشرح اخرى. فان هذه الاجزاء تحتاج الى شرح كثير، وتصحيح وتعديل.

فالبسيكولوجيا المبنية على سلامة الذوق وصحة الحكم موجودة في كلامنا العادي فالمشاهدة، والذاكرة، والتخيل والتفكير الخ كل هذه اسماء تدلنا على تقسيم بسيط للمظاهر العقلية، ولكن هذا التقسيم بسيط جداً وقد يكون مضللا في احيان كثيرة، فهذه الاصطلاحات ترمز الى وجود القسمة، والى التخصص حيث لا يوجـــد تخصص. فاصطلاح «كالذاكرة» او «التخيل» مثلا يحمل معه عملا او وظيفة مستقلة تعمل كوحدة، وتنمو كمجموع وتدرب كمجموع. فالفحص العلمي الدقيق يدلنا على انها ليست اشياء مستقلة، بل هي وظائف او اعمال معقدة، عناصرها تتراكب مع الوظائف الاخرى التي نسميها باسماء شتى. ثم هناك امتداد البحث في مجال اللاشعوري. فهنا علينا ان نعترف اننا نهمل ما تقودنا اليه سلامة الذوق وصحة الحكم. ومن اجل هذا السبب وجب علينا ان نقبل بحذر شديد اقوال الذين يدعون اكتشاف تلك المجاهل المظلمة في اللاشعوري.

* * *

ان قصة البسيكولوجيا ليست سجلا متقطعاً من النمو والتقدم. لقد كان

هنالك فترات طويلة غريبة ونهوض غريب فيها. ان هذا المجرى الذي نشا في اثينا القديمة كان يظن انه سيصبح نهراً عظيما . ولكنه ما لبث ان تضاءل وضل الطريق فغار في صحاري القرون المظلمة ، ولم يستعد قواه حتى ايام (اكويناس) ومنذ ذلك الوقت تكبد هذا النهر خسائر وعوض ارباحا . يقول امرسون ان افلاطون نزع من جميع من تأخروا عنه كل امل في مجال الابتكار . ونحن لا بد لنا من اضافة اسم ارسطو الى قائمة الذين اشتغلوا بالبسيكولوجيا . فان البروفسور سبرمن يعتبره والد هذا العلم ، فيذكرنا بقوله « انه في حين ان نظريات العلوم الاخرى قد اكل عليها الدهر وشرب الان فان ما كتب في البسيكولوجيا منذ اقدم العصور لا يزال كانه جديد طلي من عمل اليوم » .

ان الكتاب الاقدمين ليس من السهل دائماً ان يفهمهم القارئ . فهناك خطر في ان تقرأ في اقوالهم افكاراً لم تخطر ببالهم . فارسطو مثلا يميز بين العقل « المنفعل » والعقل « المبتكر » فيقول ان الاول يفنى مع الجسد في حين ان الثاني خالد لا يموت . وكثير من الكتاب كما يخبرنا البروفسور سبرمن قد فهموا هذا الرأي . فيقول « ان سياق العلم العقلي كان الى درجة قصوى عبارة عن اكتشاف ونسيان ثم اعادة اكتشاف فالمؤرخون يسهون عن النسيان ولهذا فلا يظهر في اكتشافهم ثغرة. فهم كالشخص الذي يفترض عند رؤيته الامواج تتدحرج الى الامام ، ان حركة المد تتدحرج ايضاً » . واليك ما قاله ايضاً « ان البسيكولوجيين يدعون المرة بعد الاخرى انهم يحاولون تبسيط البسيكولوجيا وذلك بان يحذفوا منها اشياء ، ثم بعد ذلك يدعون انهم قد اضافوا الى هذا العلم باكتشاف شيء جديد الان »

٭٭٭

ان هذا الكتاب يجب ان يعيد للعلم ايمانه الضائع ، فقد عرض فيه علم البسيكولوجيا المرتكز على اقسى الاساليب العلمية وهو يشرح طرق عقلية ترضخ الى قوانين تنطبق على التعليم والطب والفنون . وعلم اصول اللغات ، بل الى اي دائرة من دوائر الحياة ينفذ اليها عقل الانسان. ولقد بين المؤلف كيف تنسجم نظرياته وآراؤه في هيكل العلم العام . ولقد اشتملت نظرياته وآراؤه على مجال المعرفة والفهم — اي الفهم الذي يتميز عن العواطف والانفعال والارادة — ولهذا فهي تنطبق بالاخص على عمل المعلم . وهي تنطبق كل الانطباق على فن الفحوص ، فلا تقتصر على الفحوص التي هي جزء اساسي في عملية التعلم ، بل على الفحوص التي هي الان مدار جدل عنيف في عالم التعليم فالفاحص في الماضي كان يسير في طريقه وهو لا يعي ولا يشعر بنواقصه ، في حين ان الفاحص اليوم يشعر شعوراً دقيقاً بطريقته. ان الفاحص في المستقبل سيجد مجالا اوسع امامه لمساعدته واستدلاله في اصلاح نواقصه، بقدر ما يمكن اصلاحها، وذلك باسترشاده بالمبادىء التي وضعها البروفسور سبرمن اكثر من اي مصدر اخر

كتب جديدة

كتاب « رأي في تدريس اللغة العربية » للدكتور الحسيني

في البلاد العربية كافة نهضة جديدة تبشر بخير عميم وهي مبنية على التخلص من الرضوخ لما سنه القدماء وقبوله كامر لا قبل لنا بدفعه . والمطابع اصبحت بين حين وآخر تصدر لنا كتاباً نفيساً فريداً في ابحاثه وموضوعاته نقبل عليه إقبال الظامىء في الصحراء على نهر الفرات يعب منه ويعب ولا يرتوي . وهكذا كان

شأننا مع كتاب احياء النحو للاستاذ الكبير ابرهيم مصطفى في العام الماضي ومع كتاب « رأي في تدريس اللغة العربية » للصديق الدكتور اسحق موسى الحسيني.
ومن غريب الصدف ان يتفق المؤلفان الفاضلان في كثير من الآراء دون ان يطلع احدهما على ما كتبه الآخر اذ ان الدكتور الحسيني كان قد نشر في مجلة الكلية العربية الغراء بعض ابحاثه القيمة قبل ان يظهر كتاب احياء النحو الذي لم يطلع مؤلفه على ما جاء في المجلة . وهذا يدلنا على ان روح الاصلاح بدأت تدب في البلاد العربية ولن تلبث العقبات الكؤود التي تحول دون تعميم اللغة العربية وسهولة تدريسها ان تزول. والايام المقبلة كفيلة بتحقيق هذه الظاهرة.

فكتاب الدكتور الحسيني يبحث في تدريس اللغة العربية بكل فروعها وله في هذا المضمار آراء مبتكرة جديرة بكل بحث وعناية . فتدريس النصوص والقواعد والانشاء والادب على الاسلوب الذي وجه اليه الدكتور الانظار يجعل في وسعنا تدريس اللغة العربية في زمن قصير واتقان كبير. وقد حاولت ان الم الى بعض النقاط التي جاء بها المؤلف في ثنايا كتابه فرأيتني سأكتب مقالة قد لا تقل عن حجم الكتاب نفسه فلذلك احجمت تاركا المجال فسيحاً امام القراء ليتمتعوا بما في هذا الكتاب من آراء طريفة . وساكتفي هنا بذكر رأي وجيه عملي استلفت نظري اكثر من غيره وهو وجوب التحدث مع الاطفال باللغة الفصحى فيشبون وليس فيهم من يلحن شأن الاطفال الالمان الذين يتقنون النحو الالماني اتقاناً شديداً على صعوبته وتعقده . وقد سمعت عن والد نجيب في مدينة السلط لم يتحدث مع اطفاله الا بالفصحى فشب الاطفال لا يلحنون ولا يجدون صعوبة في الابانة عن افكارهم. فحبذا لو عمل الآباء برأي الدكتور اذن لرأينا جيلا جديداً يرفع شأن اللغة العربية ويوطد دعائمها . واني اهنئ الدكتور على باكورة جهوده وادعو القراء الى مطالعة هذا المؤلف النفيس.

م. خ.

العلوم الحديثة

للصفوف الابتدائية

تأليف الاستاذ سليم كاتول ب.ع. استاذ الطبيعيات والكيمياء بالكلية العربية بالقدس

لقد قام الاستاذ الفاضل سليم كاتول بكل كفاية بوضع خمسة كتب او اجزاء متسلسلة في علوم الطبيعة والصحة وفق مناهج ادارة المعارف التعليمية في الصفوف الابتدائية . انجز منها حتى الان ثلاثة كتب . اما الجزءان الباقيان فلا يزالان تحت الطبع وسيتم انجازهما باقرب وقت

ان هذه السلسلة من الكتب قد سدت فراغا عظيما طالما لمسناه في السنين الماضية حيث كان يضطر الاستاذ لتنقيل طلابه ما يكون قد جمعه لهم من الملاحظات وفي ذلك من اسراف في الوقت ما فيه لذلك تجد ان هذه المجموعة توفر الوقت فينتفع به الاستاذ في اطالة الشرح وتوسيعه وفي اجراء طائفة كبرى من الاختبارات ليزيد في تثبيت القواعد والقوانين في عقول طلابه تاركا هم تنقيلهم على عاتق هذه المجموعة. كما ان حيازة الطلاب لهذه الكتب تجعل كل فرد مقتنياً لمجموعة من الرسوم هي غاية في الاتقان والوضوح اذ ان وضوح الرسوم هي من ضروريات الشرح للاستاذ والفهم للطالب و بدون هذه المجموعة او السلسلة تكون رسوم الطلاب غامضة جداً ان لم نقل انها معدومة.

ولما كان الطالب في صفوفه الابتدائية الاولى يستصعب ضبط حركات الكلمات تفضل الاستاذ المؤلف تجاه هذه الصعوبة بتحريك اجزائه الاربعة الاولى مسهلا على الطالب القراءة الصحيحة فهذه حسنة اخرى تضاف الى الحسنات السابقة الذكر.

لذلك فاننا نثني على الاستاذ المؤلف الفاضل بما قام من جهود جبارة بتقديم هذه المؤلفات المفيدة لابنائنا ليستعينوا بها على زيادة تثقيف عقولهم وتدريبها بالطريق القويم.

ا.ن

فهرست

صفحة

١ الفروق القائمة بين انظمة التعليم الاوروبية والاميركية

٥ المتنبي بعد الف عام — لصاحب السماحة السيد خليل الخالدي

١٥ انحرافات في بسيكولوجيا الخوف — للاستاذ حبيب الخوري

٢٢ البحر الميت — للاستاذ وصفي عنبتاوي

٢٦ السينما واثره في ابنائنا

٢٩ التهذيب الصحيح واثره في الحياة — للاستاذ ابرهيم مطر

٣٥ اسباب عدم التذاذ الاطفال بدرس التاريخ — للاستاذ احمد خليفة

٤٠ المعرفة الفضلى

٤٥ المملكة اللاتينية في القدس — للاستاذ محمود سليمان العابدي

٥٩ الاولاد الاغبياء والاجرام

٦٣ تأثير المعلم على سلامة عقل الطالب

٦٧ تدريب المعلمين للمدارس العصرية

٧٠ البسيكولوجيا والمعلم

٧٧ كتب جديدة

